

بسم الله الرحمن الرحيم

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِذَا تَابَ الْعَبْدُ تَوْبَةً نَصُوحًا أَحَبَّهُ اللَّهُ فَسَتَرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يُنْسَى مَلَكِيهِ مَا كَتَبَا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ، ثُمَّ يُوحَى إِلَى جَوَارِحِهِ: اكْتُمِي عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ وَيُوحَى إِلَى بَقَاعِ الْأَرْضِ: اكْتُمِي عَلَيْهِ مَا كَانَ يَعْمَلُ عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ. فَيَلْقَى اللَّهُ حِينَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ» [1].

«إن حقيقة التوبة هي الرجوع من عالم الطبيعة وآثارها ومضاعفاتها إلى عالم الروحانية والفترة. كما أن حقيقة الإنابة رجوع من الفترة والروحانية إلى الله والسفر والهجرة من بيت النفس نحو بيت القصيد. فمَنْزِل التوبة سابق ومقدم على مَنْزِل الإنابة، ولا يناسب تفصيل ذلك في هذا المقال» [2].

والإستغفار "من الأمور الهامة التي لا بد للتائب أن يقدم عليها، اللجوء إلى مقام غفارية الله تعالى وتحصيل حالة الاستغفار، والطلب من الحق جل جلاله ومن مقام غفارية ذاته المقدس بلسان مقاله وحاله وفي السر والعلن وفي الخلوات. الطلب منه بكل مذلة ومسكنه وتضرع وبكاء بأن يستر عليه ذنوبه وانعكاساته...

إن الحق تبارك وتعالى بسبب غفاريته وستارته يقطع الصلة بين وليد الإنسان . الصور الملوكوتية للأعمال المحرمة . والإنسان، بواسطة لعان المستغفر. ويحجب عن تلك المعصية كل الكائنات التي اطلعت على أحوال الإنسان من الملائكة، وكتاب صحائف الجرائم، والزمان والمكان وأعضاء نفس الإنسان وجوارحه، وينسيهم جميعاً تلك المعصية" [3].

وفي هذه السطور التالية نستعرض جانباً من وصايا ولي أمر المسلمين آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي (دام ظله) النابعة من وصايا أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام)، وذلك لما يتمتع به سماحته (دامت بركاته) من مزيج من الموقعية الفريدة و المميزة، من الفقاهاة، و المرجعية، والقيادة، وخوض غمار الإبتلاءات المتنوعة، وكانت له تجربته المميزة في تربية الأجيال وصونها. كل هذا أعطى لكلماته حول موضوع الإستغفار والتوبة أهميته المميزة فقد عاش الألفاظ الإلهية و المواهب الرحمانية.

وبهذا الكتاب سعيينا لأن نستعرض فيه جانباً من كلمات سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله) حول الإستغفار والتوبة، إختارناها من بعض محاضراته التي ترجمتها للعربية مؤسسة دار الولاية للثقافة الإسلامية، وبعضها الآخر من الموقع الإلكتروني لمؤسسة حفظ ونشر آثار سماحته (حفظه الله)، راجياً من الله القبول.

علي المسترشد

في ذكرى مولد ثامن الحجج الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)

11 ذو القعدة 1430 هـ

aleslaam@live.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين أحمدُهُ وأستعينه وأستمد منه وأتوكل عليه، وأصلي وأسلم على حبيبه ونبييه وخيرته في خلقه وحافظ سرّه ومبلغ رسالاته سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهّرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين. وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين [4].

قال الله الحكيم في كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رَحِيماً﴾ [5]، [6].

قال الله الحكيم: (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ....) [7].

إنّ الله تعالى يأمرنا دائماً . في القرآن الكريم كما مرّ في الآية المتقدمة . بالاستغفار والتوبة.

والتوبة تعني: الإنابة إلى الله تعالى، وإنّ هذه الإنابة تتحقق على صعيد الإيمان وعلى صعيد العمل والسلوك، وإننا غير معصومون من الذنوب وعلينا إصلاح أنفسنا بالدرجة الأولى.

قال تعالى في أوائل سورة هود: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرِّكَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ.....[8]

أي أنّ القرآن الكريم بعد أن يذكر التوحيد . باعتباره أهم الأهداف من خلق الإنسان . يذكر بعد ذلك مباشرة الأمر بالإنابة إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه.[9]

[1] أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح 1.

[2] الإمام الخميني(ره) - الأربعون حديثاً.

[3] الإمام الخميني(ره) - الأربعون حديثاً.

[4] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[5] سورة النساء، الآية: 110.

[6] المناسبة: صلاة الجمعة الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[7] سورة هود: الآية 3 .

[8] سورة هود: الآية 1 . 3 .

[9] الزمان والمكان: 26/رمضان المبارك/1426 هـ . طهران - المناسبة: استقبال مسؤولي النظام الإسلامي - الحضور: رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

معنى الإستغفار:

لا بد لنا من تعريف الاستغفار لكي ننطلق معاً في رحاب كلام السيد القائد دام ظله من منطلق معرفي لعلنا نستلهم من معينه ما يعيننا على لزوم جادة الصواب، والاستغفار يعني ببساطة طلب المغفرة الإلهية للذنوب. [1] «ولو أداها العبد بشكل صحيح لفتحت عليه أبواب البركات الإلهية».

فالذنوب التي نرتكبها تغلق على الفرد والمجتمع كل ما يحتاجه من الألفاظ الإلهية، من فضل الله، ورحمته، ونوره، وهدايته، وتوفيقه، وإعانه في أعماله، ومؤازرته بالنصر في مختلف الميادين.

الذنوب تسدل حجاباً بيننا وبين رحمة الله وفضله، والاستغفار يزيل هذا الحجاب ويفتح علينا باب فضل الله ورحمته، وهذه هي فائدة الاستغفار.

لهذا يذكر القرآن للاستغفار . في عدة مواضع . فوائد دنيوية وكذا يذكر فوائد أخروية، كقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وأمثالها ويُفهم من الآيات كلها أنّ الفضل الإلهي يجد طريقه إلى قلب الإنسان وجسده وإلى المجتمع الإنساني ببركة الاستغفار، وهذا يعني أنّ الاستغفار أمر مهم". [2]

(والاستغفار يقطع وتينه) من جملة الأمور التي تقضي على الشيطان هو الاستغفار وطلب المغفرة من الباري عزّ وجلّ، والذي تكرر في مواضع عديدة من القرآن الكريم.

وللإستغفار ثمرة ونتيجة أينما كان، وقد ذكرت في الآيات والروايات آثار الاستغفار أيضاً.

و روح الاستغفار وطلب العفو من الله سبحانه وتعالى هي شيء مهم جداً لأنها تعني عدم غفلة الإنسان عن أخطائه وزلاته، فمن يرى نفسه من الخطأ والمعصية ويتصور أنه لم يرتكب عملاً سيئاً، فسوف لا يفكر في الاستغفار.

فنفس الاهتمام بأمر الاستغفار يعني اعترافنا بالخطأ والنقص والمعصية والقصور والتقصير.

إذن، فالاستغفار هو أمر ضروري لكل إنسان، لأن من الطبيعي أنه لا يوجد إنسان لم يرتكب ظلماً أو ذنباً أو صدر منه تقصير ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابَّةٍ﴾ [3].

إن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن ذنوب العباد، لأن الله لو كان يؤاخذ العباد بظلمهم وذنوبهم لما بقي منهم أحد على وجه الأرض، ففي قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابَّةٍ﴾ المراد بالذابة قهراً هي الذابة الإنسانية لأن البحث في الآية الكريمة يدور حول الإنسان.

وعلى هذا فإن أخطاءً تصدر منا بصورة مستمرة مردّها إلى الأهواء النفسية، كما أن بعضها ناشئ من الجهل وقصر النظر.

إذن، فالهدف من الاستغفار هو الالتفات إلى الذنوب المرتكبة ولازمه تصحيح العمل، فيجب على كل إنسان تصحيح عمله بصورة مستمرة، وإذا ما تواجد ذلك فسوف يتمّ التكامل.

وعلى هذا فإن الشرط الأساسي لكمال الإنسان هو وجود حالة التصحيح هذه والتي يُعد الاستغفار أحد عواملها المهمة.

ولهذا أوليت أهمية كبيرة جداً للاستغفار». [4]

«لقد جاء في إحدى الروايات: (ادفعوا أبواب البلايا بالاستغفار) [5]؛ وجاء في الآية المتقدمة قوله تعالى: ﴿...يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا...﴾ [6] وشروط تحقق ذلك إنما يكون بالاستغفار والتوبة وطلب العفو من الله تعالى.

وجاء في رواية أخرى: (خير الدعاء الاستغفار) [7] وجاء في المناجات الشعبانية: (إلهي ما أظنك تردني في حاجة قد أفنيت عمري في طلبها منك)، فما هي هذه الحاجة التي أفنيت عمري في طلبها منك؟ هي طلب المغفرة والعفو الإلهي.

العفو الإلهي معناه: إصلاح ما ارتكبناه من أخطاء، وجبران الآلام التي سببناها لأنفسنا وللآخرين. فلو أن الإنسان صمم على إصلاح الأخطاء والمفاسد فإن طريق الله سيكون ممهّداً أمامه، وعاقبته ستكون عاقبة حسنة.

إنّ الإشكال في عمل الإنسان هو الغفلة عن الذنوب، وعن وجوب الإصلاح و القيام بإصلاح النفس، إلا أنه لو زالت هذه الغفلة وتحققت الإرادة والتصميم فسوف تصلح جميع أمور الإنسان.

علينا في أول الأمر أن نصلح أنفسنا . وهي المرحلة الأولى التي تعتبر من أكبر الوظائف . وهذا هو الأساس؛ أي أنّ جميع الأعمال لا بد أن تكون مقدمة لإصلاح النفس، وكسب رضى الله عنا، قال تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [8]؛ لا بد أن تكون أعمالنا وجميع مساعيها من أجل نيل رضى الله تعالى والوصول إلى الكمال الذي هو الهدف الأساسي من وجودنا». [9]

التوبة تنقية النفس من الذنوب

أعزائي، إعلموا أنّه يكمن في وجودكم عنصر نفيس وثمان جدّاً، وللأسف قد مُزج في كثير من الحالات بالتراب والنحاس وبأشياء أخرى لا قيمة لها، وإنّ في داخل نفوسكم حرباً قائمة مُزجت بالأشواك، وإنّ جميع الجهود والمسااعي التي بذلها الأنبياء (عليهم السلام) كان الهدف منها هو أن نتمكّن من تنقية ذلك العنصر الثمين في نفوسنا من الشوائب، كما أنّ الاختبارات الإلهية كلّها من أجل تحقيق هذا الهدف، والشدائد التي نتعرض لها في الدّنيا هي من أجل تحقيق هذا الهدف، والتكاليف الشاقّة التي يضعها الباري على الناس هي لتحقيق هذا الهدف، والجهد في سبيل الله لتحقيق هذا الهدف أيضاً. وإنّ السبب الذي جعل الشهيد يحوز كلّ هذه المنزلة العظيمة عند الله عزّ وجلّ هو أنّه بجهاده العظيم قد وضع نفسه في طريق التضحية، وبهذا استطاع تنقية نفسه من جميع الشوائب التي تعلق بها.

فالتنقية هنا هي كتنقية الذهب ممّا يعلق به من شوائب، وهذا الشهر هو شهر التنقية.

ولو نظرنا يامعان لوجدنا أنّ التنقية في هذا الشهر هي أيسر وأسهل من الطرق الأخرى للتنقية، فيإمكاننا تنقية أنفسنا في هذا الشهر المبارك بالصيام ومجاهدة النفس.

إنّ أغلب الضّلال والانحراف الموجود في العالم، إمّا أن يكون ناشئاً من الذنوب والمعاصي التي تصدر منّا، أو من الخصال السيئة الموجودة فينا ﴿ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [10] فعاقبة المعاصي هي الضّلال؛ ما لم يتلأأ نور التوبة في قلب الإنسان.

والذي جعل الأئمة (عليهم السلام) يؤكّدون علينا دوماً - بأنكم إذا أذنبتم فبادروا إلى التوبة عقب ذلك الذنب، واندموا على تكرار المعصية، صمّموا على ألا تصدر منكم معصية فيما بعد- هو أنّ السقوط في

مستنقع المعصية هو شيء خطير للغاية، ففي بعض الأحيان يصل الإنسان إلى مستوى لا يكون لديه طريق للعودة، هذا هو أحد أسباب الضلال الذي يحصل للإنسان، أما السبب الآخر فهو الخصال السيئة الموجودة في نفس الإنسان، ودور الخصال السيئة أكبر من دور المعاصي الفعلية التي يرتكبها الإنسان. فلو أننا كنّا متكبرين، ولو كنّا أنانيين، ولو كنّا مستبدّين بآرائنا ونخطئ الجميع في كلّ شيء وفي كلّ حديث وكلّ نظرية، ونقول نحن الذين نفهم بشكل صحيح فقط، ونحن الذين نعمل بشكل صحيح فقط، ولا نصغي لاستشارة ولا لكلام حقّ ولا لمنطق ولا لاستدلال، فلو تأصل الحسد في نفوسنا بحيث أصبحنا نرى الجميل قبيحاً، ولم نكن على استعداد للإقرار بالحقيقة الناصعة التي تقع في مكان ما، ولو صدّنا حبّ الشهرة وحبّ المال وحبّ المنصب عن القبول بالحقّ، فهذه جميعها من الصفات الخطيرة التي تبعث على الضلال في حياة الإنسان.

فأغلب الذين تشاهدونهم ضلّوا في العالم كان ضلالهم عن هذا الطريق، وإلاّ (كلّ مولود يولد على الفطرة) والطهارة موجودة في جميع النفوس، والجميع لهم ضمير يقبل بالحقّ، إلاّ أنهم يغطوا على هذا النبع الوضّاء بالأهواء النفسية والخصال السيئة، التي يكون بعضها وراثياً، وبعضها إكتسابياً.

وأنا أقول لكم: إنّ علماء الأخلاق – والأخلاق هي إحدى فروع العلوم أيضاً، وبالرغم من أنّ الأخلاق العملية لها قيمة كبيرة بالنسبة لنا، إلاّ أنّ هناك أخصائيين في هذا المجال كما يوجد أخصائيون في المجالات الأخرى – يقولون: إنّ بإمكان الإنسان تغيير حتّى الأخلاق الوراثية، فيمكننا تغيير التكامل الذاتي والطمع الذاتي والبخل الوراثي والحسد الوراثي والعناد الوراثي. [11]

[1] المناسبة: صلاة الجمعة الخطبة الأولى – الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ. ق/ جامعة طهران – الحضور: جموع من المصلين.

[2] المناسبة: صلاة الجمعة الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران
- الحضور: جموع من المصلين.

[3] النحل: 61.

[4] المناسبة: شروع درس (البحث الخارج) - الزمان والمكان: 1415/4/4 هـ . ق . طهران -
الحضور: جمع من الفضلاء طلبة البحث الخارج.

[5] مستدرك الوسائل: ج5، ص318 .

[6] سورة هود: الآية 3 .

[7] بحار الأنوار: ج90، ص284 .

[8] سورة المائدة: الآية 105 .

[9] الزمان والمكان: 26/رمضان المبارك/1426 هـ . طهران - المناسبة: استقبال مسؤولي النظام
الإسلامي - الحضور: رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

[10] سورة الروم، الآية: 10.

[11] المناسبة: خطبة صلاة الجمعة - الزمان والمكان: 3/رمضان/ 1415هـ . ق . طهران - الحضور: جمع غفير من المؤمنين - الخطبة الأولى.

من آثار الذنوب عدم استجابة الدعاء

واطلبوا على الدعاء واطلبوا الحاجات الكبيرة، اطلبوا الدنيا والآخرة، ولا تقولوا أنّ ذلك كبير وكثير؛ كلا، فإنّ ذلك ليس بالشئ الكثير على الله تعالى؛ الشرط الأساسي هو أنكم تدعون مع العمل بشرائط الدعاء.

ولكون الإنسان غافلاً تجد أنّه في بعض الأحيان لا يعلم أنّ العمل الذي تحقق له، هو إجابة لدعائه.

- الاجتناب عن المعاصي والتوبة منها. فإننا جميعاً مبتلين بالمعاصي والتقصير، تقصيراً كثيراً أو قليلاً؛ علينا أن نعتذر لله ونستغفره ونتوب ونؤوب إليه..

جاء في إحدى الروايات فيما يتعلق بالدعاء واستجابته: (وليخرج من مظالم الناس) على الإنسان الخروج من مظالم الناس حتى يستجاب دعاءه. [1]

الاستغفار بذاته يمثل في الواقع جزءاً من التوبة، والتوبة معناها العودة إلى الله، وعلى هذا فأحد أركان التوبة الاستغفار؛ أي طلب المغفرة من الله تعالى، وهذا من النعم الإلهية الكبرى، أي أنّ الله تعالى فتح باب التوبة لعباده ليتسنى لهم طي مدارج الكمال، ولكي لا يكون الذنب سبباً في إنشدادهم إلى الأرض؛ لأنّ الذنب يسقط الإنسان من ذروة علاه الإنساني، وكل ذنب يلحق ضرراً بروح الإنسان ونقائه ومعنويته واعتزازه الروحي، ويقضي على شفافية روح الإنسان فتتراكم عليها الرسوبات.

الذنب يجرد الإنسان من ذلك البعد المعنوي، الذي يميز الإنسان عن سائر موجودات هذا العالم المادي، ويقضي على روحانيته ويقربه إلى الحيوانات والجمادات.

وفضلاً عن الضرر المعنوي الذي تلحقه الذنوب بحياة الإنسان، فهي تجلب عليه الكثير من الإخفاقات، فالكثير من ميادين الحياة الإنسانية يفشل فيها الإنسان بسبب ما يرتكبه من ذنوب.

نعم، لفشل الإنسان وإخفاقه تفسير علمي ونفسي وفلسفي أيضاً، وليس ذلك بالتعبد الصرف، أو ببيان الألفاظ.

كيف يتأتى للذنب أن يصيب الإنسان بالإحباط؟

في معركة أحد مثلاً أدى تهاون مجموعة من المسلمين إلى تحويل النصر الابتدائي إلى هزيمة، أي أن الغلبة كانت للمسلمين في الوهلة الأولى، إلا أن الأشخاص الذين أوكلت إليهم مهمة المراقبة في مضيق الجبل . لصد أي تسلل للعدو من خلف الجبهة . تركوا مواضعهم وهرعوا إلى ساحة القتال طمعاً في نيل الغنائم، فالتف عليهم العدو من الخلف وباغتهم بهجوم مفاجئ، فدمرهم، وهذا هو السبب في هزيمة أحد.

وردت في سورة آل عمران عشر آيات أو اثنتا عشرة آية أو أكثر بشأن هذه القضية، فبما أن المسلمين كانوا يعيشون حالة من الاضطراب النفسي؛ لذلك كان وطء هذه الهزيمة ثقيلاً عليهم . فنزلت الآيات القرآنية لطمأنتهم ولهدايتهم، ولتبين لهم العوامل التي انتهت بهم إلى الهزيمة، والظروف التي أدت بهم إلى ذلك، وتسلسل الآيات حتى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ

الشَّيْطَانُ يَبْغِضُ مَا كَسَبُوا﴿[2] أي أنّ الذي حصل من ترك مجموعة من المقاتلين لمهمتها حتى انتصر العدو لم يكن أمراً إتفاقياً، بل كانت أرضية نفوسهم قد استعدت لذلك بسبب ذنوبهم .

أي إنهم كانوا يعانون من نقاط ضعف في داخل نفوسهم، تمكّن الشيطان من استغلالها والنفوذ إليهم فدفعهم إلى القيام بمثل هذه الأعمال .

أي أنّ الذنوب السابقة يظهر أثرها في الجبهة؛ في الجبهة العسكرية وفي الجبهة السياسية وفي جبهة مواجهة العدو، وفي جهاد البناء، وفي مجال التربية والتعليم، وفي كل حقل يستلزم الاستقامة، ويستلزم الفهم والاستيعاب الدقيق، وفي المواضع التي ينبغي للإنسان يكون فيها صلداً كالحديد يقطع كل ما يعترض سبيله من الموانع، ويسير قُدماً.

المقصود طبعاً الذنوب التي لم يستغفر منها الإنسان ولم، يتب منها توبة نصوحاً.

في هذه السورة ذاتها ثمة آية أخرى وردت بنمط آخر لكنّها تعكس نفس هذا المعنى. فالقرآن يريد القول: لا عجب في انكساركم في جبهة المعركة فأمثال هذه الوقائع قد تحصل، وقد حصلت من قبل: ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾[3] أي أنّ أمثال هذه الحوادث قد حصلت للأنبياء السابقين في ساحة القتال، ثم يقول بعد هذا: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾[4] أي أنّ أصحاب الأنبياء عندما تعرضوا لمثل هذه الحوادث في المعارك، أو حينما يتعرضون لمصائب أخرى في مختلف الميادين، كانوا يتوجهون إلى الله بالاستغفار قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾.

وهذا يدل . في الواقع . على أنّ الحادثة والمصيبة التي تُبتلون بها إنما تنشأ بسبب ما ارتكبتموه أنتم من ذنوب، هذا هو تأثير الذنوب.

إذاً فانظروا إلى هذه الذنوب التي يقترفها الإنسان، وهذه المخالفات، والأعمال الناجمة عن الانسياق وراء الشهوات وحب الدنيا والطمع والحرص على مال الدنيا والتعلق بالمناصب الدنيوية، وبخل المرء بما في يده من الأموال، إضافة إلى صفات الحسد والغضب، تلاحظون أنها تترك على الإنسان أثرين حتماً؛

أحدهما: تأثير معنوي يسقط من الروح صفاتها ونقائنها، وبطفيء فيها وهج النور، فيخبو في الإنسان ذلك البعد المعنوي ، ويُغلق بوجهه سبيل الرحمة الإلهية .

التأثير الآخر يبرز في ميدان النشاط الاجتماعي، حيث تتطلب حركة الحياة الجد والحزم وصلابة الإرادة؛ وهنا تكون الذنوب عائقاً أمام المرء، فإذا افتقد العناصر الأخرى التي تعوّض عن هذا الضعف، يكتب له الفشل.

بطبيعة الحال قد تكون لدى الإنسان عوامل أخرى أحياناً تعوّض عن ذلك كالسجية الحسنة والعمل الصالح، إلا أنها ليست موضع بحثنا، أما الذنب بذاته فهذه تأثيراته". [5]

يجب علينا الاستغفار من ثلاث أنواع من الذنوب، وهذا مهم بالنسبة لنا، فنحن نحتاج إليه من أجل القيام بإدارة أعمالنا، وإذا ما غفلنا عن هذه الذنوب فسوف تلحق بنا أضراراً كبيرة.

أنواع الذنوب ثلاثة:

النوع الأول: ظلم النفس:

و ذكر ذلك في آيات وأحاديث كثيرة . وهو الذنب الذي يرتكبه الشخص ولا يضر به إلا نفسه، ويشمل الذنوب الفردية العادية المتعارفة.

النوع الثاني: الذنوب التي يرتكبها الشخص، ويُلحق من خلالها الضرر المباشر بالآخرين:

وهذا الذنب يعتبر أشد من ظلم النفس، مع أنه يعتبر ظلماً للنفس أيضاً؛ إلا أنه بسبب كون الاعتداء والتجاوز على الآخرين الذي يتم من خلاله، فإنّ بشاعة الذنب تكون فيه أكثر وعلاجه يكون أصعب؛ من قبيل الظلم، والغصب، وهضم حقوق الآخرين، وهضم حقوق الإنسانية.

إنّ الحكومات هي المسؤولة عن هذه الحقوق، وإنّ هضمها هو ذنب المسؤولين والسياسيين والشخصيات العالمية.

إنّ هذه هي ذنوب الذين تستطيع كلمة منهم أو توقيع، أو عزل أو نصب، أن تؤثر على عوائل، وأحيانا على شعوب بأكملها.

وكالمعتاد فإنّ الناس العاديين لا يقعون في مثل هذه الذنوب، وحتى لو وقعوا فيها فإنّ نطاقها سوف يكون محدوداً، كأن يمشي أحدهم ويقوم بضرب أحد الأشخاص في رجله متعمداً.

أما أنا وأنت إذا ما قُدِّرَ لنا أن نبتلي بمثل هذا الذنب فسوف تكون دائرته أوسع، وكما ذكرت سابقاً فإنَّ توقيعاً أو حكماً أو كلمة أو قضاء أو حركة تصدر منّا في مكان اتخاذ القرار يمكن أن يؤثر تأثيراً مباشراً على أناس كثيرين.

إنَّ لمثل هذا الذنب استغفاراً يناسبه، إذ إنَّ الاستغفار الذي يناسب النوع الأول من الذنوب هو أن يطلب الإنسان المغفرة من الله تعالى بقلب صادق.

أما النوع الثاني من الذنوب فلا يكفي فيه الاستغفار فقط، بل لابد للإنسان من جبره وإصلاحه؛ حيث تأتي هنا مرحلة الإصلاح وتصحيح الأخطاء.

النوع الثالث: الذنوب التي ترتكبها الشعوب.

فالذنوب ليست متوقّفة على أن يرتكب أحدهم ذنباً ويتضرّر منه جماعة، بل أحياناً تبتلى إحدى الشعوب أو مجموعة من الأفراد المؤثرة على شعب آخر بالذنب؛ وهذا الذنب له استغفار يناسبه أيضاً.

الذنب وطبيعة الاستغفار الذي يناسبه:

تجد أحياناً شعباً ما يسكت على المنكر والظلم لسنوات عديدة ولا يبدي أي رد فعل تجاه ذلك، وهذا أحد الذنوب أيضاً، ولعله أعظمها، ويبيّن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [6].

إنّ هذا الذنب هو الذي يزيل النعم الكبرى، وهو الذي يوقع البلايا العظيمة على الأفراد والشعوب العاصية.

لقد تحمّل هذا الشعب أعباء فعلته بعد خمسين عاماً . حيث تمّ في مدينة طهران تشكيل المجلس التشريعي وصُودق هناك على انتقال السلطة والدولة إلى رضا شاه . بسبب وقوفه موقف المتفرّج، وهو يرى المجتهد الكبير الشيخ فضل الله نوري يُعدم وسط مدينة طهران دون أن ينبس ببنت شفة، ويرى كيف عدّوه مخالفاً للحركة الدستورية . ولا يزال بعض الكتاب والمؤلفين يرددون هذا الكلام الكاذب، والفارغ من المحتوى والمضمون . لأنّه كان يعارض أفكار البريطانيين والموالين للغرب في هذه المسألة . مع أنّ الشيخ فضل الله نوري كان من مؤسسي وقادة الحركة الدستورية .

فلم يكن هذا ذنب مجموعة خاصة من الناس، بل كان ذنباً شعبياً عاماً وشاملاً ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [7]

في بعض الأحيان تكون العقوبة جماعية . رغم أنّ مرتكبي المعصية هم فئة خاصة، ولم يكن الجميع قد شاركوا بارتكاب المعصية بصورة مباشرة . لكون الفعل هو فعل جماعي، وعلى أثره أصبحت العقوبة عامة وشاملة.

إنّ الشعب الإيراني تحدّى الموت، وتصدّت صدور أفرادهِ للحيلولة دون تقدّم الدروع التابعة لمحمد رضا بهلوي في يوم من الأيام، وقام بتغيير موقف الصمت المشوب بالمعاصي إزاء ما يفعله الأعداء والعملاء لمدة خمسين سنة؛ مما جعل الله تعالى يشبه على ذلك بأن سقطت الدولة الجائرة، وجاءت حكومة شعبية على رأس السلطة، وانقطعت العلاقات السياسية المشينة، وبدأت الحركة الاستقلالية، وما زالت هذه الحركة مستمرة وستستمر إن شاء الله تعالى، وسيصل هذا الشعب بهمّته وعون الله تعالى الى تحقيق أهدافه.

إذاً فالتنوع الثالث من الذنوب استغفار يتناسب مع طبيعته أيضاً.

لقد جاءت كلمة (التوبة) في كثير من آيات القرآن الكريم مقرونة بكلمة (الإصلاح)، قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا) [8] وقال تعالى: (مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) [9].

وفي مكان آخر ذكر مصداق هذا الإصلاح أيضاً كما في قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا) [10]، في مقابل الأشخاص الذين يكتمون الحقائق كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) [11]، أو قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) إن الطريق للتوبة، وإصلاح النفوس مقرون بتطهير وتنقية القلوب، وجعلها خالصة لله تعالى، وبناءً على ذلك فإن الإصلاح يعتبر من لوازم التوبة. [12]

التوبة من الذنوب الفردية والاجتماعية:

"أما بالنسبة إلى مسألة الاستغفار والإصلاح الاجتماعي . الذي يعتبر من أكثر مصاديق الاستغفار تأثيراً على حياة الإنسان، بل هو المفهوم والمحتوى والمضمون الواقعي للاستغفار . فيجب علينا أن نقوم بإصلاح مسيرتنا وهدفنا الاجتماعي على قدر ما نستطيع، وعلينا أن لا نعتبر هذا الأمر أمراً صعباً، فمن خلال الإرادة يمكن أن تذلل الصعوبات". [13]

"أيها الأخوة الأعزاء، إن بعض السلوكيات يمكن للمرء أن يتوب منها، كما أن بعضها يستعصي على التوبة؛ لأن إصلاحها مستحيل؛ فالقرآن الكريم يردف في موارد متعددة (إلا الذين تابوا) [14] بقوله تعالى

(وأصلحوا)، لأن التوبة تكون أحياناً مختصة بالتصرفات الفردية والسلوكيات الشخصية، فتتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء مقرّين بخطئنا، فيمحو الله سبحانه آثامنا.

ولكن الأمر يختلف عندما يكون الفعل مؤثراً على النطاق الاجتماعي، فيأتي معه بواقع جديد أو يزيل واقعاً ما من المجتمع، وهنا لا تكون التوبة مقبولة إلا بإعادة إصلاح هذا العمل. فهل هذا ممّا يمكن إصلاحه دائماً؟! وهل يمكن دائماً إعادة المياه إلى مجاريها؟! ولهذا فلا بد من الدقّة التامة". [15]

الاستغفار من الإسراف في أمورنا

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [16]، وهذا قانون كباقي القوانين الطبيعية والتاريخية الأخرى، كقانون الجاذبية مثلاً، فالله سبحانه وتعالى لا يسلب نعمة من أحد، بل نحن الذين نغيّر بسلوكنا وسوء تدبيرنا في الأمور، ومن هنا يأتي القرآن ليعلمنا الاستغفار من الإسراف في أمورنا فيقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ [17].

ثم يقول سبحانه: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا تَحِبُّونَ﴾ [18] فإنهم أخطأوا بعد أن أراهم الله آيات النصر، إلا أنهم حيث كانوا يؤمنون بالله ولم ينفضوا أيديهم تماماً ولا تركوا الهدف، ولا دلسوا إيمانهم بالله، فقد عفا الله عنهم حيث قال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ أي عن خطأكم وسيثبتكم ويعينكم في المستقبل ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [19]. [20]

[1] الزمان والمكان: 17/رمضان المبارك/1426هـ.. طهران - المناسبة: خطبتي صلاة الجمعة - الحضور: جموع المصلين.

[2] سورة آل عمران، الآية: 155.

[3] سورة آل عمران، الآية: 146.

[4] سورة آل عمران، الآية: 147.

[5] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[6] سورة الرعد: الآية 11 .

[7] سورة الأنفال: الآية 25 .

[8] سورة البقرة: الآية 160 .

[9] سورة مريم: الآية 60 .

[10] سورة البقرة: الآية 160 .

[11] سورة البقرة: الآية 159 .

[12] الزمان والمكان: 26/رمضان المبارك/1426هـ . طهران - المناسبة: استقبال مسؤولي النظام الإسلامي - الحضور: رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

[13] الزمان والمكان: 26/رمضان المبارك/1426هـ . طهران - المناسبة: استقبال مسؤولي النظام الإسلامي - الحضور: رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

[14] سورة البقرة: الآية 160.

[15] المناسبة: لقاء مع نواب الدورة السادسة لمجلس الشورى الإسلامي - الزمان والمكان: 15 ربيع الأول 1421هـ . ق طهران - الحضور: نواب مجلس الشورى الإسلامي.

[16] الأنفال : 53 .

[17] آل عمران: 147.

[18] آل عمران : 152.

[19] آل عمران : 152.

[20] المناسبة: ولادة الإمام محمد الباقر(عليه السلام) - الزمان والمكان: 3 صفر 1412 هـ . ق/
طهران - الحضور: مسؤولو وكوادر الحكومة.

الإكثار من الاستغفار

وينبغي أن يكون استغفارنا أكثر من غيرنا، وعليّ أنا بالذات أن أستغفر لنفسي، كما عليكم أن تستغفروا لأنفسكم، فكلنا مذنبون، وفي الحقيقة لا يمكن أن يقال: إننا مذنبون فقط؛ بل نحن غارقون بالذنوب، فما أكثر التقصير والتأخير الذي يحدث في أعمالنا الشخصية؛ ولذلك علينا بالاستغفار؛ لأنّ بالاستغفار يُنار القلب، وتُرق الروح والعقل.

إنّ استغفارنا هذا هو استغفارٌ بيننا وبين الله، إلا أنّ هناك استغفاراً عاماً أيضاً، يختصّ بالجالسين [1] في هذا الاجتماع أكثر من غيرهم؛ باعتبارهم من مسؤولي الحكومة، ورؤساء القوى الثلاث، وأصحاب مسؤولية ونفوذ.

لقد دوّنت خمس نقاط، إلا أنه بسبب ضيق الوقت، سوف لا أدخل في التفاصيل، بل أمرّ عليها مروراً سريعاً فقط.

النقطة الأولى: مسألة الخلافات:

علينا أن نستغفر ونتوب بسبب ما نشيره من خلافات؛ لأنّ الخلافات تضرّنا.

إنّ الخلافات تحدث أحياناً من خلال إثارة الشعور القومي والمذهبي والمحلي والسياسي، وأحياناً تحدث من خلال إيصال الخلافات الفكرية إلى مرحلة الصراع.

لا إشكال فيما لو وجدت خلافات فكرية، إلا أنه لا ينبغي أن يصل هذا الخلاف إلى حالة الصراع. وهذا هو سبب اعتراضنا على بعض الأشخاص الذين يطلقون العنان لأقلامهم الشيطانية بالكتابة ضد معتقدات الناس، وضد الحقائق الموجودة في المجتمع، وضد التاريخ الحقيقي، وإلا فليس لدينا أي اعتراض على مسألة حرية التعبير، فإنني معتقد بمسألة حرية التعبير بكل ما لهذه الكلمة من أبعاد ومعاني.

كل ما في الأمر هو ملاحظة ما يطرح في المحافل العامة، إذ إنّ هناك أموراً يجب طرحها فقط في الأوساط والمحافل التي تُطرح فيها البحوث التخصصية.

نعم، لا بأس بأن يجلس مجموعة من الفقهاء والحقوقيين والفلاسفة وعلماء الاجتماع ويتباحثون فيما بينهم بما يتعلق بالمسائل المهمة والضرورية، فيقبل أحدهم ويرد الآخر ويستدل الثالث، ثم تُنشر بحوثهم ليقرأها الناس، إلا أنّ ذلك ينبغي أن يبحث في الأوساط التخصصية.

وهكذا بالنسبة لدلائل الثورة، وبالنسبة للقضايا الأساسية لنظام الجمهورية الإسلامية، ينبغي أن تبحث في الأوساط التخصصية، وهذا هو السبب لما طرحناه بالنسبة إلى الحركة الفكرية المتحررة..

لقد سعى الأعداء لسنوات طويلة من أجل إثارة الخلافات الفكرية والسياسية وتعميق الخلافات بين مسؤولي الدولة.

ومن الواضح أنّ الصراع بين المسؤولين في البلد، والتنازع والخلاف بينهم، وعدم قبول أحدهم الآخر وتربّص أحدهم للإيقاع بالآخر، يؤدي إلى وقف عجلة التقدّم في العمل.

لحسن الحظ، إنّ بعض مسؤولينا . من منطلق الحكمة . لم يخضعوا للعدو، ولم يسمحوا لاتساع رقعة الخلافات، وإلا فإنّ خطط العدو واسعة جداً في هذا المجال..

لا ضير من الانتقاد، إلا أنّه يجب أن يكون انتقاداً منصفاً، أي مبنياً على أساس معرفة قدرة وقابلية الأشخاص، ومقدار عزمهم وأهدافهم.

إنّ الفرصة سانحة الآن، فلا تتركوا هذه الروح التعاونية تزول بسبب البرامج الغير المناسبة التي تروج اعتماداً على بعض الإشكالات أو تعظيم الأمور التافهة.

انتبهوا إلى أنّ عيون وآذان أصحاب النوايا السيئة ومرضى القلوب مفتوحة، لإيجاد الخلافات بين الجهات المتّحدة ومنعها عن العمل.

عليكم أن تراقبوا الأمور جيداً، سواء كنتم في الحكومة أو المجلس أو القوة القضائية أو الميادين السياسية والإعلامية المختلفة أو غير ذلك.

إنّ الانتقاد من أجل الإصلاح والمطالبة بقضاء حوائج الناس، أمر حسن، إلا أنّ تتبّع العيوب بلا مورد، وتعظيم الأمور، وتوجيه التّهم والافتراءات، وبث الإشاعات التي ليس لها أساس من الصحة، أمر قبيح.

فلا بد من التمييز بين الأمرين.

أعتقد أنّ علينا الآن الاستغفار، وعدم الاستمرار بالغفلة عن كلّ الأمور التي قصّرنا فيها على هذا الصعيد سابقاً.

التعارض بين حبّ الأنا وحبّ الله

النقطة الثانية: حبّ الأنا، بكل ما تمتلك هذه العبارة من معنى.

فإذا ما وجد حبّ الأنا في نفوسنا فعلينا الاستغفار من ذلك؛ لأنّ حبّ الأنا يتعارض مع حبّ الله، فإنّ قلب الأناني بقدر ما يحمل من حبّ الذات وعبادتها، يكون بعيداً عن حبّ الله وعبادته.

إنّ حبّ الذات بمعناه الواسع، يتضمن الدفاع الغير منطقي والتعصبي والمشوب بالحميّة من قبل الإنسان عن الحزب أو التيار الذي ينتمي إليه، أو عن أقربائه ومن ينضوي تحت لوائه أو أصدقائه الخلص، وبما أنّ كثير من الخلافات السياسية التي يتلى بها المجتمع من جرّاء ذلك، فإنّ هذا الأمر يعتبر خطأ كبيراً.

لقد قلت قبل عدة سنوات . لعله قبل عشرين سنة . : إنّ الخلافات الناشئة من المسمّيات كتلة اليسار وكتلة اليمين، تشبه الخلافات التي كانت موجودة بين القبائل في الجاهلية، فلا تفسحوا المجال لمثل هذه الخلافات، ولا تجعلوا حبّ الأنا يترسّخ في أذهانكم وتترتب على ذلك الآثار السيئة.

لا تغفلوا عن خدمة الشعب

النقطة الثالثة: الغفلة عن الشعب وخدمته.

علينا أن لا نجعل قلوبنا غافلة عن الشعب، وإذا كنا قد غفلنا عنه، فعلينا أن نستعين بالله ونتوب إليه من ذلك، وبالخصوص أنتم أيها المسؤولون . سواء كنتم في المجلس أو في الحكومة . الذين انتخبكم الشعب على ضوء شعاراتكم التي منها (تقديم الخدمات للمواطنين)، و(مكافحة الفساد)، و(تحقيق العدالة الاجتماعية).

عليكم أن لا تغفلوا لحظة واحدة عن الشعب.

فلقد تأسس هذا المجلس والحكومة الحالية ببركة مقولة تحقيق العدالة وخدمة الشعب ومكافحة الفساد، وإنّ الشعب يعيش مع هذه المفاهيم، فلا يمكن جعل هذه المفاهيم مجردة عن الواقع، بل إنّها مفاهيم واقعية، ولا بد أن تطبّق في ميادين الحياة.

عليكم تطبيق العدالة في مختلف البرامج، وكل ما هو مرتبط بالعدالة وتحسين الأمور الاقتصادية والمادية للمواطنين، والذي طُرح في سياسة الخطة الرابعة، ومن جملته دعم الاقتصاد الوطني، والسيطرة على التضخم والغلاء، وتقليل الفواصل الطبقيّة بين أصحاب الثروات والطبقات الفقيرة في المجتمع، وما إلى ذلك، وكله لا بد أن يتم وفق برامج جديدة، وإلا فإنّ عنوان(العدالة) هو مفهوم لهدف تطلّعي ليس إلّا.

علينا أن نهتم بالسياسة التي يمكن أن توصلنا للعدالة، والبرامج التي يمكن أن تحقق هذه السياسة.

هناك الكثير من المشاكل في الخطة الرابعة؛ وعلينا معالجتها؛ من أجل أن يكون هذا البرنامج وفق السياسات الواقعية، وأن يكون هناك أمل من وصولنا إلى مصاف تلك السياسات بواسطة هذا البرنامج.

بالعلم والأخلاق يتحقق الاقتدار الوطني

النقطة الرابعة: التغافل عن مبادئ الاقتدار الوطني والعوامل الباعثة على تحقيق قواعده الأساسية.

إنّ الشعب الذي يريد الوصول إلى السعادة المعنوية والحرية والرقي العلمي، لابد أن يكون قوياً ومقتدراً. مع أنّ هذه الأمور هي من بواعث الاقتدار أيضاً.

إنّ الشعب الضعيف المهان الخاضع للدول المستكبرة، الذي يطمح إلى أيدي وأفواه الآخرين والذي لا يمتلك اقتداراً وطنياً، لا يستطيع أن يصل إلى أهدافه العليا.

كيف يتحقق الاقتدار الوطني؟ يتحقق بالعلم والأخلاق.

لقد تحدّثنا كثيراً في مجال العلم، وسنتكلم عن الأخلاق في هذا الاجتماع.

علينا أن نتحلّى بدرجة عالية من الأخلاق؛ لأنّ رسولنا (ص) هو معلّم الأخلاق، وهو الذي رفع راية التهذيب وكمال الأخلاق، ودعا إليها من خلال رسالته، فعلياً أن لا نتخلّف عن ركب قافلة الأخلاق.

إنّ من القواعد الأساسية للاقتدار: تهذيب السلوك الاجتماعي، والالتزام بالنظام، ومحاسبة الضمير أثناء العمل، وتطبيق القانون، والتمسك بروح الإيمان.

إنّ البعض من عديمي الإنصاف أخذوا بالتعدي على روح الإيمان لدى شبابنا، وجعلوها في معرض النهب باسم الحرية والشعارات الفارغة والغير منطقية؛ فعليكم أن لا تغفلوا عن قدراتكم وقابلياتكم التي تمتلكونها.

إنّ أحد القواعد الأساسية للاقتدار الوطني هو أن يعتقد المسؤولون وأفراد الشعب أنهم قادرون على طيّ الطريق وتحقيق الأهداف، وأن لا يُشعروا أنفسهم بأنهم عاجزون ومُكبلي الأيدي والأرجل في طريق مسدودة، وعلينا أن نبين ذلك للشعب، فإنّ هذه هي إحدى وظائفنا، وهو جزء من عمل الحكومة.

إنّ الاقتدار الوطني هو من واجبات الحكومة وعلى أجهزة الدولة أن تقوم بذلك؛ علينا أن لا نتوهم القدرة، وأن لا نفترض أننا قادرون اعتماداً على التخيل والوهم والتمسك بالهواجس، بل علينا أن لا نغفل عن اقتدارنا الحقيقي والواقعي.

التحلّي بالفطنة والذكاء وعدم الغفلة

النقطة الأخيرة: الغفلة عن العدو.

عندما نغفل عن العدو أو مؤامراته، فلا بد لنا من الاستغفار والتوبة من ذلك.

والتوبة هنا بمعنى: الالتفات إلى أنفسنا والانتباه إليها، والفتنة والذكاء والنظر بدقّة وحزم إلى الأمور.

أخذت تثار ضجة في الآونة الأخيرة من أننا كثيراً ما نتعرّض إلى ذكر الأعداء، ونتوهّم بأنّ هناك مؤامرات تحاكّ ضدنا!

وهل أنّ المؤامرات يمكن أن تزال مع الغفلة؟! لقد أصبح كل شيء واضحاً وملموساً.

ولعل الأمر كان خافياً عندما كانت تثار هذه الضجة، إلا أنّ اليوم أصبح العدو يعلن أمام الملاء أنّه يدبّر المؤامرات ضد النظام الإسلامي للجمهورية الإسلامية، وضد دستورنا وشعبنا ومنافعنا.

إذاً يجب أن نتحلّى بالذكاء والفتنة، لأجل كشف مؤامرات الأعداء، التي تحاول النيل من أرض وهوية الشعب، وبذلك نكون قد حفظنا أرواحنا وشعبنا ومصالحنا من دسائس ومؤامرات العدو.

تتمتع منطقتنا اليوم بمزايا كثيرة؛ ويمكن القول: إنّ منطقة الشرق الأوسط هي من أهم المناطق الحساسة في العالم؛ ولهذا قامت أمريكا بتعيين الأهداف المرسومة لها في هذه المنطقة.

إنّ الهدف الرئيسي لأمريكا يدور في إطار إيجاد إمبراطورية دولية، والهيمنة على العالم. فهي لا تسعى لتحقيق أهداف في أجزاء خاصة من العالم، كلاً؛ بل تريد تحقيق هذه الإمبراطورية والتسلّط على رقاب جميع الشعوب.

المخطط الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط

إنّ أمريكا تعتبر منطقة الشرق الأوسط من المناطق الحساسة، وإنّ أهدافها تدور في إطار السيطرة على هذه المنطقة، وقد أعدّت الخطط من أجل السيطرة على الشرق الأوسط والخليج الفارسي وشمال أفريقيا.

إنّ هذه الخطط كانت موضوعة مسبقاً، وقد قاموا بالتمهيد وتوفير الأسباب لها، إلا أنهم لن يستطيعوا تمرير مخططاتهم والوصول إلى أهدافهم؛ والدليل على ذلك هو فشل هذه الأهداف في فلسطين والعراق.

ومع ذلك فإنّهم لا يزالون يمتلكون المخططات لهذه المنطقة وللدول الأخرى، ومن بينها العراق.

إنّ هدف أمريكا الأساسي في منطقة الشرق الأوسط هو إيجاد حكومات عميلة وخاضعة لا تسبب لها المتاعب.

إنّ بلدان الشرق الأوسط اليوم ليست كذلك بالطبع، إنّ الكثير منها هي تابعة لأمريكا، إلا أنّها سوف تسبب المتاعب لأمريكا أيضاً.

لو أنّ أمريكا أرادت الحصول على نسخة أمريكية مشابهة لها لا تسبب لها المشاكل، فإنّ سبيلها إلى ذلك هو إيجاد حكومات عميلة خاضعة لها تتمتع بظاهر شعبي وديمقراطي.

إنّ أمريكا اليوم غير راضية حتى عن الأنظمة الملكية الموجودة في الشرق الأوسط؛ لأنّها تعلم أنّها تسبب لها مشاكل كثيرة.

على الدول الإسلامية والعربية أن تلتفت إلى أنّ أمريكا لا تدبّر المخططات للبنان وسورية والعراق فقط . فتقف موقف المتفرّج ظنّاً منها بأنّ هدف أمريكا هو السيطرة على سوريا ولبنان فقط . بل إنّها تخطط للسيطرة على مصر والسعودية والأردن وجميع دول الخليج الفارسي.

إنّ هناك مسافة بعيدة بين أهداف أمريكا والحقائق الموجودة على أرض الواقع، فإنّ الإدارة الأمريكية اليوم كـ (السكران) حين تتخذ القرار، فهي غير ملتفتة إلى ما تقوم به، وهي بعيدة كل البعد عن الحقائق التي تحدث في العالم.

وهذا ما يصرّح به اليوم لُبابة المحللين السياسيين الأمريكيين، وإنّهم يدوّنون ذلك في مواقع شبكات الانترنت والصحف، ويصرّحون بأنّ تصرفات أمريكا هذه سوف تؤدي بها إلى الانهيار والسقوط؛ وهذا هو الواقع.

إنّ تصرفات أمريكا وما تقوم به من خطط عدائية ضد البشرية تشير إلى احتمال تعرّضها إلى الغضب الإلهي.

إنّ بلدنا يقطن هذه المنطقة من العالم، وهو يتمتع بالاقتدار الوطني والقوة السياسية على صعيد الشرق الأوسط وعلى الصعيد الدولي، وعلى صعيد الاعتراف من قِبَل لُبابة المحللين السياسيين الأوائل في العالم، فإنّ ما نمتلكه من بلد كبير عامر في نقطة حساسة جداً من العالم، وثلة من المسؤولين المتكاتفين، وشعب موهوب وشاب قد منح الجمهورية الإسلامية قوة مميّزة.

إنّ في مثل هذا الموقع علينا أن ننتبه ونتوجّه إلى ما يدور حولنا، ونطلّع على مؤامرات الأعداء، ونصرف بفتنة وذكاء وتدبير وشجاعة.

إنّ ما نراه من كثرة الضجيج ضد الجمهورية الإسلامية، هو دليل على اقتدارنا.

فقد كان الإمام الخميني (رضوان الله عليه) يقول: "لو لم تكن الجمهورية الإسلامية شيئاً يذكر، فلماذا تُحشّد كلّ هذه القوى ضدها؟ وإذا لم تكن ذات أهمية، فما هو سبب السعي الحثيث ضدها؟ إنّ هذا هو سبب اقتدارنا".

قبل عدة أيام أخذوا يشيرون الضجيج على تصريحات رئيس الجمهورية أحمددي نجاد ضد الكيان الصهيوني، وبالطبع فإنّ هذه ليست هي المرة الأولى، بل حدث هذا عدّة مرات، حيث كانت المرة الأولى قبل عشرة أو اثنا عشر سنة عندما قتل إسحاق رابين، حيث أبدى رئيس جمهوريتنا آنذاك رأيه في ذلك، فأثاروا ضجّة لكون رئيس الجمهورية أبدى ارتياحه بسبب مقتل رئيس الوزراء الإسرائيلي!

إنّ الإنسان ليخجل أمام البشرية بسبب مواقف قادة الدول الأوربية والغربية تجاه الكيان الصهيوني، وعلى هذه الدول أن تخجل من البشرية ومن شعوبها بسبب الخنوع الشديد الذي تبديه تجاه الصهاينة.

وهل من العجيب أن تخالف دولةً دولةً أخرى ولا تعترف بهويتها السياسية؟! أو أنّ قليلاً ما يوجد في العالم من رؤساء دولة ما يتمنّون في قلوبهم موت رئيس إحدى الدول الأخرى؟! بل ويظهرون ذلك علناً في كل مناسبة، فلماذا لا تثار الحساسية ضدهم كما حصلت ضد رئيس الجمهورية الإسلامية؟!

للأسف، إنّ التسلط الصهيوني الذي ليس له حدود على الدول الغربية والأوربية هو الذي يُحدث مثل هذه الضجّة.

بالإضافة إلى ذلك تجد أنّ المستكبرين يحاولون الربط بين هذه المسألة ومسألة النشاط النووي الإيراني.

إنّ هؤلاء الجهالة الذين ربطوا هذا الموضوع بأحداث النشاط النووي، لم يكونوا يعلمون بأنّ السلاح النووي لا يصلح لتدمير الأنظمة والحكومات، بل إنه يصلح لتدمير الإنسان والبلدان، وإنّ مقاومة وعزم الشعوب هي التي تزيل الأنظمة الفاسدة، وإنّ هذه المقاومة وهذا العزم يوجد عند الشعب الفلسطيني، وبقوة الله ستنتهي مقاومة الشعب الفلسطيني إلى زوال الكيان الصهيوني.[2]

[1] الحضور: مسؤولي النظام الإسلامي - رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

[2] الزمان والمكان: 26/رمضان المبارك/1426هـ . طهران - المناسبة: استقبال مسؤولي النظام الإسلامي - الحضور: رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

في مثل هذه الحالة يمنح الله الإنسان نعمة كبرى وهي نعمة المغفرة، ويقول له: إنك إذا ندمت على الذنب الذي اقترفته . وهو ما ينبغي أن يبقى أثره السيئ . فإن باب التوبة والاستغفار مفتوح. فكأنك بارتكابك للذنب قد عرّضت بدنك للجروح، وأدخلت إليه مكروباً، فالمرض واقع بك لا شك. وإذا شئت إزالة أثر هذا الجرح وهذا المرض من جسدك، فإنّ الله تعالى قد فتح لك باباً وسمّاه باب التوبة والاستغفار والإنابة والعودة إلى الله، فإذا تبتم فسيعوض الله عليكم، وهذه نعمة كبرى منحها الله إيانا.

جاء في دعاء وداع شهر رمضان وهو الدعاء الخامس والأربعون من الصحيفة السجادية، كلام الإمام السجاد(عليه السلام) يدعو ربّه قائلاً: «أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمّيته التوبة، وجعلت على ذلك الباب دليلاً من وحيك لئلا يضلوا عنه»، ويقول بعد بضع كلمات: «فما عذر من أغفل دخول ذلك المنزل بعد فتح الباب لإقامة الدليل»، فاطلبوا المغفرة من الله.

قرأت حديثاً عن رسول الله (ص) يقول: فيه: «إن الله تعالى يغفر للمذنبين إلا من لا يريد أن يغفر له، فقل: يا رسول الله من الذي يريد أن لا يُغفر له؟ قال: من لا يستغفر».

إذاً الاستغفار مفتاح باب التوبة والمغفرة. وبالاستغفار تنال الرحمة الإلهية. نعم، الاستغفار له هذه الأهمية. [1]

استغفروا ربكم واطلبوا منه العفو، واسألوه رفع هذا الحجاب المتراكم من الذنوب، وإزالة هذه السحب المانعة لشمس لطفه وفضله، ليشع نور لطفه على هذه الأفئدة وعلى هذه النفوس، فتلاحظون عندها ظهور التعالي والسمو في ذات الإنسان. [2]

موانع الإستغفار:

إننا إذا شئنا الاستغفار واستجلاب هذه النعمة الإلهية يتعين علينا تنزيه ذواتنا من خصلتين: إحداهما الغفلة، والأخرى الغرور.

الغفلة/ موانع الإستغفار:

الغفلة تعني: "أن لا يكون الإنسان متنبهاً وملفتاً بشكل تام إلى أنه يقترب ذنباً"، كما هو الحال بالنسبة لبعض الناس (لا أقول الكثير من الناس . فلا تهمني الكثرة والقلة . فقد يكون في بعض المجتمعات أقل) هذا النمط من الناس موجود ويرتكب الذنب غفلة وبدون أن يشعر بصدور المخالفة منه، فقد يكذب، ويداهن، ويغتاب، ويضر الآخرين، ويصدر منه الشر، ويخرب، ويقتل، ويخلق المشاكل للناس الأبرياء، وبنظرة أوسع وبمستوى أعلى، يخطط بشكل مروع للإيقاع بالشعوب، ويضلل الناس، من دون أن يشعر أساساً أنه يمارس أعمالاً منكراً، ولو قال له قائل إنك تقترب ذنباً، قد يضحك منه مستهزئاً ويقول: وأي ذنب هذا؟!

بعض هؤلاء الناس غافل، أو قد لا يعتقد أساساً بمبدأ الثواب والعقاب، والبعض الآخر يعتقد بالثواب والعقاب، لكنه تائه في غمار الغفلة غير ملتفت لما يعمل، ولو تأملنا في حياتنا اليومية لرأينا بعض تصرفاتنا

شبيهة بتصرفات الغافلين، الغفلة أمر عجيب! وذات خطر بليغ، وقد لا يوجد عدو أشد ولا خطر أكبر منها على الإنسان! نعم، بعض الناس هم من هذا الطراز.

الغافل لا يفكر بالاستغفار بتاتاً، بل ولا يخطر بباله أنه يرتكب ذنباً، وهو غارق على الدوام بالذنوب، ومنغمس سكران غاطّ بنومه، وهو أشبه ما يكون بمن يؤدي بعض الحركات وهو نائم.

ولهذا أطلق أهل السلوك الأخلاقي . في بيانهم لمنازل السالكين في طريق تهذيب النفس وتحصيل الأخلاق . على المنزل الذي يروم المرء فيه الخروج من الغفلة، إسم منزل اليقظة [3].

أما في المصطلح القرآني فيطلق على الحالة المقابلة للغفلة، اسم التقوى، التقوى تعني: التنبّه واليقظة الدائمة والمواظبة.

قد تصدر عن الغافل عشرات الذنوب وهو لا يشعر أساساً أنه ارتكب ذنباً، والإنسان المتقي في الحالة المقابلة له تماماً؛ فلا يكاد يرتكب ذنباً حتّى يتنبه إلى أنه ارتكب ذنباً، فيبادر إلى إصلاحه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [4].

يا أعزائي، ويا إخواني وأخواتي، أياً من تكونوا، انتبهوا هذا الكلام غير موجّه لفئة معيّنة، فنقول مثلاً: على غير المثقفين أو على قليلي المعرفة أو الشبان أو الصغار أن ينتبهوا، كلا، بل على الجميع أن ينتبهوا؛ من العلماء والأكابر والشخصيات المعروفة والأغنياء والفقراء والكبار والصغار؛ لكي لا ينغمسوا في الغفلة، فتصدر منهم أخطاء قد لا يكونون ملتفتين لها، هذا شيء عظيم.

الذنب الذي نقترفه أنا وأنت قد لا نلتفت إليه ولا نتوب منه ولا نستغفر؛ لأننا لا نعلم أننا قد أذنبنا، وفي يوم القيامة حين يُكشف عن أبصارنا نعي حينها كم في سجل أعمالنا من أشياء عجيبة! يندهش الإنسان في ذلك الموقف ويتساءل عن زمن ارتكابه لهذه الأعمال؛ لأنه لا يتذكرها أصلاً!

هذا هو ذنب الغفلة، وهذه سلبياته، إذاً فأحد موانع الاستغفار هو الغفلة.

2. الغرور/ موانع الإستغفار:

أما المانع الآخر فهو الغرور. الإنسان يغتر لأدنى عمل يؤدّيه.

وردت في الأدعية والروايات كلمة «الاغترار بالله»، جاءت في الدعاء السادس والأربعين من الصحيفة السجادية . والذي يُقرأ في أيام الجمعة . عبارة مثيرة وهي: «والشقاء الأشقى لمن اغتر بك، ما أكثر تصرفه في عذابك، وما أطول تردده في عقابك، وما أبعد غايته من الفرج، وما أقنطه من سهولة المخرج»، فالمغرور كما تصفه هذه الرواية هو من يغتر بالله.

فهو يغتر لأدنى عمل يؤديه، فإذا صَلَّى ركعتين مثلاً، أو قدّم خدمة للناس، أو تصدّق بمبلغ من المال، أو قام بعمل في سبيل الله، يصاب من فوره بالغرور ويحسب أنه أصلح ذاته بين يدي الله، وحسن حاله عنده ولا حاجة له في شيء آخر. إنه لا يتلفظ بهذا الكلام، لكنه يفكر هكذا في نفسه.

إنبهوا إلى أن الله تعالى حينما يفتح باب التوبة ويغفر الذنوب، لا يعني هذا أن الذنب شيء بسيط أو أمر قليل الأهمية، كلا، فقد تؤدي الذنوب أحياناً إلى هلاك الوجود الحقيقي للإنسان، وتستنزله من مكانته السامية في الحياة الإنسانية إلى حيوان مفترس وقذر ولا يعرف للقيم أي معنى، نعم، هكذا هي الذنوب. فلا تظنوا الذنب أمراً يسيراً، فهذا الكذب، وهذه الغيبة، وعدم المبالاة بكرامة الناس، وهذا الظلم ولو بكلمة واحدة هي ذنوب غير طفيفة وغير يسيرة.

الشعور بالذنب لا يستلزم أن يكون المرء غارقاً في الذنوب لسنوات متتالية، لا أبداً، حتى الذنب الواحد لا ينبغي الاستخفاف به.

جاء في الروايات باب اسمه «استحقار الذنوب»، وفيه مذمة لمن يستهين بالذنوب، أما السبب الذي جعل الباري تعالى يغفر الذنب فهو أن الأوبة إلى الله تحظى بأهمية كبيرة، لا بمعنى أنّ الذنب صغير ويسير.

إنّ الذنب أمر خطير، لكن العودة إلى الله والرجوع إليه له من الأهمية بحيث إنّ المرء إذا قام به عن صدق وإخلاص، يشفى من ذلك المرض المزمن.

وعلى هذا فالاغترار بالعمل الصالح . وهو حسب تصوّرنا عمل صالح، وقد لا يكون صالحاً أو لا يحظى بأهمية معينة . يدفع المرء إلى ترك الاستغفار.

يقول الإمام السجاد(عليه السلام) في دعاء آخر: «فأما أنت يا إلهي فأهل أن لا يغتر بك الصديقون» لاحظوا ما يتضمنه هذا الدعاء من بيان ومن معرفة، فلولا الغفلة لما كان الاغترار بالله ولما كان العجب، ولأقبل المرء على الاستغفار. [5]

حقيقة الاستغفار

النقطة التالية هي: إنَّ الاستغفار إذا كان حقيقياً وصادقاً يذل الصعاب أمام الإنسان. نفترض أنَّ أحدكم لديه مشكلة، كأن يكون أحد أعزائه مريضاً، وطرق كل الأبواب ليحصل على علاج ويشفيه من مرضه، لكنه لم يهتدِ إلى ذلك سبيلاً، ولم يبق أمامه إلاَّ التوسل إلى الله ودعائه، يا ترى كيف يدعو الله في مثل هذا الموقف؟ يجب أن يكون استغفار الذنوب على هذه الشاكلة أيضاً، أي أن تستغفروا الله عن صدق وتقررروا عدم اقتراف هذا الذنب ثانية.

السقوط في الذنب مرةً أخرى!

بطبيعة الحال، قد يقرر الإنسان عدم العودة إلى مثل ذلك الذنب، لكنه قد ينزلق ويرتكبه مرةً أخرى، عليه أيضاً أن يتوب ثانية، وحتى إن تاب مئة مرة ولم يلتزم وعاد ارتكاب الذنب يبقى باب التوبة مفتوحاً أمامه للمرة الواحدة بعد المائة، لكن من يتوب ويستغفر يجب أن لا يضمّر في قرارة نفسه أنه يستغفر الآن وي بعدها يعاود ارتكاب الذنب، فهذه لا تسمى توبة.

ثمة رواية منقولة عن أحد الأئمة يقول فيها: «من استغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقد استهزء بنفسه»، أي استغفار هذا؟! هذا لا يعد استغفاراً.

الاستغفار معناه: أن يطلب الإنسان من ربه بجد أن يعفو عما ارتكبه من خطأ، فكيف يُبيح لنفسه العزم على ارتكاب ذلك الذنب مرةً أخرى؟ وهل يتجرأ على طلب الغفران من ربه؟ وأي استغفار هذا؟

هذا الاستغفار لا جدوى منه، لا بدّ أن يكون الاستغفار حقيقياً وجدّياً، والاستغفار لا يختص بفئة معينة من الناس، حتى يقال على الذين أسرفوا في ارتكاب الذنوب أن يستغفروا، كلا، بل يجب الاستغفار على

جميع الناس، وحتى على من هو في حد النبي، ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [6] أي حتى الرسول يجب أن يستغفر أيضاً. [7]

"لا بد أن نعزم على أن لا نتطرق إلى المعصية.

أحياناً يعزم الإنسان ويصمم على أن يتجنب المعصية، ثمَّ يبتلى بالذنوب مرةً أخرى؛ نتيجة لغفلته وخطأه، فعليه أن يستغفر ويتوب مرةً أخرى، إلا أنَّ الاستغفار لا بد أن يكون صادقاً وحقيقياً.

نِيَّة الاجتناب عن المعاصي لا بد أن تكون جدية وصادقة وحقيقية.

جاء في إحدى الروايات فيما يتعلق بالدعاء واستجابته: (وليخرج من مظالم الناس) على الإنسان الخروج من مظالم الناس حتى يستجاب دعاءه". [8]

لماذا الاستغفار؟

ذنوب الجوارح:

الاستغفار إما أن يكون عن ذنب ارتكبه،

ذنوب الجوانح:

وإما أن يكون عن ذنب أخلاقي، لو فرضنا أن شخصاً لم يرتكب ذنباً، لا من كذب ولا من غيبة، ولا من ظلم، ولا من خلاف، أو شهوة، أو إهانة لأحد، أو تناول على مال الناس. ومن الطبيعي أن أمثال هؤلاء الناس نادر جداً. إلا أنَّ الكثير من هؤلاء الناس إذا لم تكن لهم ذنوب بالجوارح، فهم بلا شك يقعون في ذنوب الجوانح، وهي ذنوب أخلاقية، فلو أنَّ مثل هذا الشخص. الذي لم يرتكب أي ذنب. كان يسير بين الناس، ويفكر مع نفسه قائلاً: "مساكين هؤلاء الناس منغمسين في الذنوب، والحمد لله إنني صنت نفسي ولم أرتكب مثل هذه الذنوب". أي أنه في مثل هذه الحالة اعتبر نفسه خيراً منهم، وهذا بحد ذاته ذنب وسقوط وانحدار يستوجب الاستغفار.

إنَّ احتقار الناس، واعتبار الذات أفضل من الآخرين، والنظر إلى عمله وكأنه أكثر قيمة من عمل غيره، وما شابه ذلك من صفات الحسد والطمع والعُجب، كلها تستوجب الاستغفار.

التقصير في المعرفة:

ولو فرضنا أنَّ شخصاً سَلَمَ من كل هذه الذنوب، لكنه لم يتعمَّق في باب علم التوحيد ومعرفة الله، وهو باب غير محدود وغير مغلق ولا نهاية له، وكان جميع الأنبياء والأولياء يتعمَّقون فيه من أجل تكامل النفس ونيل مزيد من المعرفة بشأن الباري جل شأنه، ولسير أغوار صفاته الكمالية. فإذا لم يحرز الإنسان تقدماً في هذا السبيل، يعتبر ذلك قصوراً منه وتخلفاً وعجزاً معنوياً يوجب الاستغفار.

الاستغفار مطلوب من الجميع ولا يقتصر على أحد:

تلاحظون مدى اللوعة والحرقة التي تتسم بها أدعية الأئمة(عليهم السلام)، يتصوّر البعض أنَّ هذه اللوعة والحرقة التي يبديها الإمام السجاد(عليه السلام) في الأدعية الغرض منها تعليم الآخرين، أجل، تعليم الآخرين موجود أيضاً في الشكل وفي المضمون، ولكن ليس هذا أصل القضية، بل أصلها هو حالة هذا العبد الصالح، والإنسان الكامل العظيم، هذا الشغف واللوعة متعلّقة به ذاتاً، وهذا الخوف من عذاب الله والرغبة الجامحة في التقرب إليه ونيل رضاه، منبثق من ذاته، وهذا الاستغفار والتضرع إلى الله نابع حقاً من ذاته .

قد يكون . مثلاً . الإقبال على اللذائذ المباحة والأعمال المباحة في الحياة نوعاً من الانحطاط والسقوط، في نظر إنسان على تلك الدرجة من العلو والرفعة، فهو يتطلّع مثلاً إلى عدم الاهتمام بالضرورات المادية والجسمية، وعدم النظر إلى المباح والقضايا العادية في الحياة، بل تحدوه الرغبة في أن يبحث السير في هذا الوادي اللامتناهي صوب رضوان الله وجنة المعرفة الإلهية، فإذا لم يتحقق له هذا، تراه يستغفر، إذاً فلا استغفار مطلوب من الجميع.[9]

يجب على الجميع أن يستغفروا سواء الذين يكثرون من العبادة، أم مَنْ هم في حدٍّ متوسط منها، أم الذين يكتفون منها بأدنى الواجبات، أم مَنْ لا يؤدي . لا سمح الله . قسماً من الفرائض، عليهم أن يدركوا جميعاً بأنَّ هذه الصلة بينهم وبين الله لها أثرها الإيجابي.[10]

"إنّ مسألة التوبة والاستغفار تشمل جميع طبقات البشر، من أعلى مستوى . المتمثل بالرسول محمد(ص) . إلى أدنى المستويات؛ إلا أنّ الاستغفار من الذنوب عندنا شيء، وعند الأبرار والمقربين شيئاً آخر، . لا تقس عمل المطهرين مع عملك ..

فكما نحن محتاجون للاستغفار، فهم محتاجون إليه أيضاً؛ لأنّ الجميع يقع في دائرة الإمكان . (إنّ الذنوب لا تفارق الموجودات الممكنة في كلا النشأتين، والله أعلم) . فالمقربون والأبرار محتاجون للاستغفار والإنابة بالمقدار الذي يناسبهم؛ من أجل جبران النقص والتقصير النسبي الذي تعرّضوا له.

أما نحن فقد أثقلت كواهلنا بالخطايا والذنوب، وليس بخطأ أو خطأين وعلينا الاستغفار من ذلك". [11]

الإستغفار من خصائص أمير المؤمنين(عليه السلام)

من خصائص أمير المؤمنين(عليه السلام) هو الاستغفار [12]؛ إذ كان للدعاء والتوبة والإنابة والاستغفار حيّز واسع في حياة أمير المؤمنين(عليه السلام)، فهو(عليه السلام) كان يقاتل ويعبئ الجيوش، ويدير شؤون دولة كانت تعتبر من أكبر الدول يومذاك، وقد حكمها مدّة تناهز الخمس سنوات . فالدولة التي حكمها كانت تضم حوالي عشرة بلدان . وهذا السلطان الواسع بكل ما يستلزمه من جهود ومساعٍ كان أمير المؤمنين يديره بكل جدارة، إضافة إلى ميادين الحرب وإدارة الشؤون الاجتماعية للمسلمين، والقضاء بين الناس والمحافظة على حقوق أبناء المجتمع، كانت أعمالاً كبرى ومهمة وتتطلب عملاً ومثابرة، وتستحوذ على وقت الإنسان برمته، وفي مثل هذه المواقف يقول الإنسان المحدود ببعده واحد: إنّ دعائي وعبادتي هو هذا، فأنا أعمل في سبيل الله لكن أمير المؤمنين لم يقل هذا، بل كان يؤدي تلك الأعمال، ويعبّد أيضاً.

جاء في بعض الأخبار . وإن لم أكن قد دققت في مدى صحتها . أنه(عليه السلام) كان يصلي أحياناً في اليوم واللييلة ألف ركعة [13] ، وهذه الأدعية التي تسمعونها هي أدعية أمير المؤمنين(عليه السلام)، فهو قد بدأ الدعاء والتضرع والإنابة منذ أيام شبابه، كان حينها في شغل متواصل.

وفي أيام الرسول(ص) كان شاباً ثورياً وله حضور في جميع الميادين، أي أنه كان في حالة عمل دؤوب، ليس لديه وقت فراغ، حتى في مثل تلك الظروف حين تساءل جماعة من القوم عن أكثر الناس عبادة قال أبو الدرداء[14]: علي أكثر الناس عبادة.

قالوا: كيف؟ فذكر لهم مثلاً على ذلك وأقنعهم[15]. كان حينها شاباً يبلغ من العمر نيفاً وعشرين سنة، وهكذا كان دأبه في الفترة التي تلتها، وفي أيام خلافته.

هناك قصص متنوعة عن عبادة أمير المؤمنين مثل قصة نوف البكالي[16]، وهذه الصحيفة العلوية[17] التي جمعها أكابر العلماء تعكس الأدعية المأثورة عن أمير المؤمنين، وأحدها هو دعاء كميل الذي تقرأونه ليالي الجمعة.

في أحد الأيام سألت إمامنا الراحل: أي دعاء من الأدعية الموجودة أحب إليك؟

تأمل قليلاً وقال: أحبّها إليّ دعاءان، هما دعاء كميل، والمناجاة الشعبانية، ويحتمل أن المناجاة الشعبانية لأmir المؤمنين(عليه السلام)؛ لأنّ هناك رواية تشير إلى أنّ جميع الأئمة قرأوا هذه المناجاة[18].

وهذا ما جعلني أحتمل بقوة أنها لأmir المؤمنين؛ لأنّ كلماتها ومضامينها تشبه كلمات ومضامين دعاء كميل.

ودعاء كميل دعاء عظيم، يبدأ بالاستغفار، ويقسم على الله بعشرة أشياء منها: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء»، ويسأله غفران خمسة ذنوب: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء و... الخ». أي أنه يستغفر من أول الدعاء حتى آخره، وهذه هي السمة الأساسية في دعاء كميل[19].

اعلموا يا أعزائي، إنّ أشرف الناس وأكثرهم تكاملاً هو القادر على السير في سبيل الله ونيل رضاه، وأن لا تستعبده الشهوات، وهكذا يكون الإنسان الكامل.

أما الإنسان المادي المنقاد لشهوته وغضبه وأهوائه النفسية ونزواته فهو إنسان تافه، حتى وإن كان في الظاهر كبيراً ويحتل منصباً ما. وحتى رئيس أكبر دولة في العالم، ومن يملك أكبر ثروات العالم إذا كان عاجزاً عن مجابهة نوازعه النفسية إنما هو شخص دنيء.

أما الفقير القادر على كبح رغباته والسير على الصراط السوي. وهو طريق الله وطريق التكامل. فهو إنسان كبير حقاً.

الاستغفار يستنقذ الإنسان من حضيض الحقارة، ويحرره من القيود والأغلال، ويطهر القلب ويزيل عنه الكدورة. والقلب هنا بمعنى روح الإنسان ونفسه وذاته الحقيقية.

لكل إنسان نور، وحتى الإنسان الذي لا يعرف الله ولا صلة له به، له في ذاته وجوهه نور، غاية ما في الأمر أن الصدا يتراكم عليه نتيجة للجهل وكثرة الذنوب، والاستغفار يجلو عنه الصدا. [20]

[1] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ. ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[2] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ. ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[3] يقول الإمام الراحل الخميني(ره): "إن المرحلة الأولى من مراحل الإنسانية هي «اليقظة» وهي الاستيقاظ من نوم الغفلة، والصحو من سكر الطبيعة، والإدراك بأن الإنسان مسافر، وأنه لا بُدَّ للمسافر من زاد وراحلة. وزاد الإنسان خصاله، وراحلته في هذه المرحلة الخطيرة المخيفة، وفي هذه الطريق الضيقة، على الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعرة، هي همّة الرجال وعزمهم. والنور الذي ينير ظلام هذا الطريق، هو نور الإيمان والخصال الحميدة. فإذا تقاعس الإنسان ووهنت همته أخفق في العبور، وانكب على وجهه في النار، وساوى تراب الدل، وانقلب في هاوية الهلاك. فمن لم يستطع اجتياز هذا الصراط لا يستطيع اجتياز صراط يوم القيامة أيضاً". (الأربعون حديثاً - ص132).

جاء في منازل السالكون - عبد الرزاق الأنصاري/ شرح الكاشاني: "القومة لله هي اليقظة من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة، وهي أول ما يستتير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه". (منازل السائرين - ص34-35).

[4] سورة الأعراف، الآية: 201.

[5] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[6] سورة الفتح، الآية: 2.

[7] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[8] الزمان والمكان: 17/رمضان المبارك/1426هـ.. طهران - المناسبة: خطبة صلاة الجمعة - الحضور: جموع المصلين.

[9] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[10] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[11] الزمان والمكان: 26/رمضان المبارك/1426هـ . طهران - المناسبة: استقبال مسؤولي النظام الإسلامي - الحضور: رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

[12] أصل الجملة: "من الخصائص الأخرى لدى أمير المؤمنين(عليه السلام) هو الاستغفار".

[13] "إن الروايات التي وردت والقائلة بأن الإمام علي(عليه السلام) كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة يمكن توجيهها على وجه صحيح، وهو إما أن يكون الإمام(ع) يعمل ذلك على الدوام في الفترة التي

كان فيها جليس الدار، أو يعمل ذلك في أوقات خاصة كشهر رمضان الذي يستحب فيه تفريغ النفس للعبادة والصلاة، فالإمام (عليه السلام) حتى لو كان مشغولاً في تلك السنة إلا أنه كان يفرغ نفسه في شهر رمضان، ولعله يعتكف فيه أو في أواخره كما ورد الاستحباب بذلك". (الإجابات العقائدية).

[14] أبو الدرداء (..-32هـ) - عويمر بن قيس الأنصاري الخزرجي. (المصدر: تاريخ الفقه الإسلامي وطبقات الفقهاء/ الشيخ جعفر السبحاني دام ظله).

[15] وقال عروة بن الزبير : كنا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنذاكرنا أحوال أعمار أهل بدر . وبيعة الرضوان فقال أبو الدرداء : يا قوم ألا أخبركم بأقل القوم مالا وأكثرهم ورعاً وأشدّهم اجتهاداً في العبادة . قالوا : من هو ؟ قال علي بن أبي طالب . قال : فو الله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه . ثم انتدب له رجل من الأنصار . فقال له : يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها .

فقال أبو الدرداء : يا قوم اني قائل ما رأيته ، وليقل كل قوم منكم ما رأوا شهدت علي بن أبي طالب " عليه السلام " بسويحات بنى النجار ، وقد اعتزل عن مواليه ، واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل فافتقدته ، وبعد على مكانه فقلت لحق بمنزله . فإذا انا بصوت حزين ونغمة سحر شجى ، وهو يقول : إلهي كم من موبقة حملتها عني ؟ فقابلتها بنعمتك ، وكم من جريرة تكلمت عن كشفها بكرمك إلهي إن طال في عصيانك عمرى عظم في الصحف ذنبى ، فما انا مؤمل غير غفرانك ، ولا انا براج غير رضوانك فشغلنى الصوت ، واقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب " عليه السلام " بعينه فاستترت له لا سمع كلامه ، وأحملت الحركة فرفع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثم فزع إلى الدعاء والتضرع والبكاء ، والبت والشكوى فكان مما ناجى به الله إن قال إلهي أفكر في عفوك فتهون على خطيئتي ، ثم اذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي ، ثم قال : آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول : خذوه فيا له مأخوذ لا ينجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته يرحمه الملا اذا اذن فيه بالنداء . ثم قال : آه من نار تنضج الأكباد والكلى آه من نار نزاعة للشوى . آه من غمرة من ملتهبات اللظى . قال : ثم انعم في البكاء فلم اسمع له حساً ولا حركة . فقلت غلب عليه النوم لطول السهر أوقفه لصلاة الفجر . قال أبو الدرداء : فأتيته فاذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك وزويته فلم ينزو فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . مات والله علي بن أبي طالب فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم . فقالت فاطمة عليها السلام :

يا أبا الدرداء ما كان من شأنه وقصته فأخبرتها الخبر . فقالت : هي والله يا أبا الدرداء الغشبية التي تأخذه من خشية الله ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إلي وأنا أبكي . فقال : مم بكائك يا أبا الدرداء؟ فقلت مما أراه تنزله بنفسك . فقال يا أبا الدرداء : فكيف ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتنى ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار قد اسلمتني الأحباء ، ورحمني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية . فقال أبو الدرداء : فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

[16] عن نوف البكالي قال:«بت ليلة عند أمير المؤمنين(عليه السلام) فكان يصلي الليل كله، و يخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلى السماء، و يتلو القرآن، فمر بي بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف أراقد أنت أم راقق؟

قلت: بل راقق، أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف! طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا، و ترابها فراشا، و ماءها طيبا، و القرآن شعارا، و الدعاء دثارا، ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح»

[17] هناك أكثر من كتاب باسم "الصحيفة العلوية" احدها "الصحيفة العلوية" جمعه العلامة الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي البحراني(ره)، و كذلك "الصحيفة العلوية المباركة الثانية"، جمعها العلامة النوري الطبرسي(ره).

[18] أورد السيد ابن طاووس(ره) أن ابن خالويه يقول حول المناجاة الشعبانية: إنها مناجاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان" الإقبال 296/3.

كما أورد المناجاة العلامة المجلسي نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي الذي يرمز له ب(ق) فقال: مناجاة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وهي مناجاة الأئمة من ولده عليهم السلام كانوا يدعون بها في شهر شعبان، رواية ابن خالويه رحمه الله. البحار 96/94

[19] جاء سند هذا الدعاء في كتاب «إقبال الأعمال» للمرحوم السيد الجليل علي بن طاووس في آداب ليلة النصف من شعبان.

و كذلك في كتاب مصباح المتعبد ص 587 للمرحوم الشيخ الطوسي يظهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام و حديثه مع كميل بن زياد أن [كميل بن زياد] كان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه المقربين و أنه يعد من أصحاب الإمام الأوفياء و أنه صاحب سر الإمام عليه السلام.

و يكفي في عظمة هذا الرجل العارف الجليل أن أمير المؤمنين عليه السلام يخاطبه في إحدى خطب نهج البلاغة بقوله له فيها: يا كميل بن زياد: أن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ...

و كذلك ما ورد في تحف العقول بعنوان وصايا أمير المؤمنين (ع) لكميل بن زياد و غير ذلك من الأدلة على عظمة الرجل.

من كل ذلك يظهر أن الإمام (ع) كان يزود [كميل بن زياد] بالمعارف و المفاهيم العرفانية السامية.

و يظهر من الرواية التي نقلها السيد ابن طاووس (رض) في (إقبال الأعمال) أن أول مرة علم فيها الإمام (ع) [كميل بن زياد] هذا الدعاء كان في خصوص ليلة النصف من شعبان و ذلك عندما كانوا في مسجد البصرة، ثم علمه متن الدعاء في بيته عليه السلام هذا أولا ثانيا: أنه و طبقا لما نقله كل من السيد ابن طاووس و الشيخ الطوسي [قدس سرهما] أنه لا شك في أصل هذا الدعاء و أنه لا يمكن لأي أحد أن يخدش فيه.

قال السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال، عن كميل: قال كميل: كنت جالسا مع مولاي أمير المؤمنين (ع) في مسجد البصرة فدار الحديث حول ليلة النصف من شعبان، و سئل عن معنى الآية [فيها يفرق كل أمر حكيم]

فقال (ع): هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان فمن أحيا هذه الليلة بالعبادة وقرأ فيها دعاء الخضر (ع) كان استجيب له دعاؤه.

فلما رجع الإمام إلى بيته، ذهبت ليلا إلى بيته عليه السلام، فلما رأني قال: يا كميل؟ ما الذي جاء بك؟

قلت: يا مولاي لقد جئت لطلب دعاء الخضر، قال(ع) اجلس، ثم علمني دعاء الخضر(المعروف بدعاء كميل)ولمزيد التفصيل يمكنكم الرجوع إلى كتاب [أضواء على دعاء كميل] للسيد عز الدين بحر العلوم.

[20] الزمان والمكان: 21 رمضان 1417 هـ / جامعة طهران - الحضور: جموع غفيرة من المصلين الخطبة الأولى.

مرحلة الشباب فرصة للتوبة

البعث يؤجلون العبادة والدعاء والتوبة إلى سنّ الشيخوخة، إنّ هذا خطأ كبير. يقولون لنا توبوا، نقول لهم لدينا متسع من الوقت.

أولاً: ليس من المتيقّن أنه سيُكتب لنا عمراً طويلاً من أجل التوبة لكي نتوب، فلا يدري الإنسان متى يموت.

وثانياً: لو فرضنا أننا واثقون من بقائنا إلى سنّ الشيخوخة. كأن نفترض أنّ الإنسان يستطيع أن يقضي فترة شبابه غافلاً وغارقاً بالشهوات، وعند سنّ الشيخوخة يتوب وهو مرتاح البال. فإن هذا خطأ كبير.

إنّ حالة التوجّه للدعاء والإنابة ليست من الأمور التي تحصل للإنسان في كل الأوقات، ففي بعض الأحيان نحاول أن نتوجه للدعاء فلا نتمكن {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ}[1].

إنّ الإنسان الذي لا يمتلك أرضية التوجّه لله والإنابة إليه، لا يتوقع أنه متى ما أراد التوبة يستطيع الدخول في حرم الله تعالى فيتوب عليه.

أنتم تعلمون أنّ بعض القلوب الطاهرة . قلوب الشباب غالباً . تستطيع الاقتراب من الله تعالى بسهولة, أما قلوب البعض الآخر لا تستطيع ذلك مهما حاولت.

إنّ الذين يمتلكون فرصة للتقرب إلى الله تعالى والمحافظة على صفاء قلوبهم، يجب عليهم الحفاظ على تلك العلاقة وتقويتها؛ لكي يستطيعوا أن يدخلوا حرم الله متى شاؤوا. [2]

الشباب مهبط اللطف الإلهي

المعاصي التي يُبتلى بها الإنسان على مرّ الحياة، والمشاكل التي تلقي بقيودها على روح الإنسان وتمنعها من التحرك والعروج والتكامل، إمّا أنها غير موجودة عند الشباب خاصة, أو أنّها قليلة جداً.

فالشابّ هو مهبط اللطف الإلهي، وقلبه . في كثير من الموارد . مظهر تجلّي العنايات الربّانية الخاصّة، فعلى الشباب أن يقدّروا ذلك.

إنّ صفاء الروح . التي بإمكان الإنسان أن يكتسبها وأن يتجاوز بها كدورات المادية ومشاكلها والعادات السيئة والخبائث، وأن ينزه نفسه بها . هي عند الشبان أكثر من غيرهم؛ لهذا فقد ورد عن النبي الأكرم(ص) أنّه قال: «عليكم بالأحداث» أي عليكم بالاعتماد على الأحداث (أي الشباب) في جميع الأمور، سيّما إن كانوا أهلاً للعلم والمعرفة والكمالات الفكرية، حيث يعتبر طلاب المدارس والجامعات، وطلبة العلوم الدينية في مجتمعنا ضمن هذه الفئة.

وبناءً على ذلك يُعتَبَر الشاب . سواء في الجامعات أو الحوزات العلمية أو المدارس . طبقة ممتازة من جهات عديدة، من حيث الوعي السياسي، ودورهم في تطوير المجتمع، لكن الأهم من كل ذلك، هو ذلك الأمر المعنوي والروحي، وذلك الميل العرفاني والإلهي..

أيُّها الشباب الأعزّاء! إعرفوا قدر أنفسكم، لأنّ الدنيا خُلقت لأجل السعي والعمل والبناء والجهاد والإعمار على يد الإنسان.

وجميع النشاطات سواء الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، وكذا العسكرية والجهادية . عند الضرورة .، والنشاطات العلمية والتحقيقية لازمة للإنسان، ولا شكّ أنّ على كلّ إنسان القيام بدوره في هذه المجالات حسب قدرته والفرصة المتاحة له، لكن الأبعد من كلّ ذلك هو هذه النكتة المعنوية والإلهية؛ وهي أن كل مسؤولية تتحمّلونها . سواء كانت نشاطاً سياسياً أو علمياً، وسواء كانت دراسة أو تدريساً أو تحقيقاً وبحثاً، وسواء كانت بناءاً لأركان المجتمع أو هدماً لأركان الفساد والضلال . فهي لا تخرج عن حالتين:

فإمّا أنّ هذا العمل الذي تقومون به يعينكم على السلوك المعنوي الذي خُلِق الإنسان لأجله.

أو أنّه يصدّكم عن ذلك.

ولا ثالث له.

لقد كان هدف جميع الأديان الإلهية، وجهود جميع الأنبياء، وشهادة كبار رجال الحقّ، كلّها لأجل إيصال البشر إلى الطريق الأوّل، أي القيام بعمل يجعل البشرية على الصراط المستقيم، ولتتحرك نحو العروج

المعنوي والكمال الإنساني، ومعرفة الله، وتأمين مستقبلها الذي هو الهدف الرئيسي للحياة، أي مرحلة ما بعد الموت، ف«الدنيا مزرعة الآخرة».

إننا هنا نعدّ مقدّمات الحياة الأبدية، وكل ما نقوم به من دراسة وتدرّيس وجهاد ورياضة وبناء وعمران للدنيا ومقارعة للأعداء وسائر الأعمال التي يقوم بها الإنسان . والتي هي ضرورية . يجب أن تتصف بروحية السير على الصراط المستقيم، وكل ما يصدّكم عن هذا الطريق فهو معصية.

والمعصية . في الإصطلاح الديني وفي أقوال الأنبياء . هي العوائق والموانع في طريق الكمال الإنساني.

وليس معناه أنّ الله . والعياذ بالله . أراد حرمان عباده من السعادة ومن اللذائذ، كلاً، بل اللذّة التي تمنع الإنسان من السير نحو الله كالطعام اللذيذ الضارّ الذي يتناوله الإنسان فيقرّبه من الموت، فالعقل لا يتناول هذا الطعام وينبذ هذه اللذّة.

لهذا فقد تمّ التأكيد على الاستغفار في القرآن ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾.

أيّها الشباب! عليكم أن تكونوا أمثولة للنزاهة.

فشباب العالم اليوم يعاني من مختلف ضروب المآسي ويتلقّى نتائج معاصيه.

وما ترون من استمرار الخنفسية (الهييز) في المجتمعات الغربية منذ (30 . 40) سنة وإلى يومنا هذا، ومعاناة الأسر والآباء والأمهات من ضروب المآسي وأشكال التعاسة؛ فذلك لابتعادهم عن رحاب الله وغفلتهم عن الاستغفار ولعدم ارتداعهم عن ارتكاب المعاصي.

ولهذه الظاهرة . طبعاً . عوامل، منها أنّهم لا يستطيعون إرواء الشباب معنوياً، فالشباب يبحث عن الارتواء من منبع صاف، فإن لم يجدوا ذلك، انحرفوا.

إنّ المجتمعات الغربية رغم غفلتها الكبيرة عن الأمور المعنوية، وانحصار وعيها في الأمور المادية فقط، ورغم وقوفها على الإشكالات والانحرافات متأخراً إلا أنّها اليوم أفاقَت، بحيث أن ساستها وزعماءها قد اعترفوا بذلك.

وهذا أول الغيث؛ لأنّ هذا السيل الجاري من المفاسد الأخلاقية الذي بدأ بالجريان لم يصل إلى أسفل الجبل بعد، وعندها يبدأ بهدم ما يعترضه، فتنهار عندها الحضارة الغربية القائمة على المادية المحضة، وقد ترون هذا الأمر بأعينكم في المستقبل أيّها الشباب، ولن يكون ذلك بعيداً.

فأنتم . والله الحمد . أطهار .

إنّ الشباب المترعرع في المحيط الإسلامي والثورة والنظام الإسلامي يتمتع بتلك الطهارة الفطرية والتي حافظ عليها إلى حدّ ما، وإنّ عوامل هدم هذه الفطرة قليلة في مجتمعنا، فيما لو نظرنا إلى ماضي هذا البلد وإلى حاضر سائر البلدان.

فقدروا هذه الطهارة الفطرية وحافظوا عليها لتبقى نورانيّتها معكم دوماً؛ لأنّ كل شاب ينزه نفسه عن المعاصي، ولا ينسى الله في أعماله الاعتيادية، ويحافظ على الصبغة الإلهية والإخلاص بقدر الإمكان. ولا نوّد المبالغة.. وينوي في دراسته وأعماله المختلفة أن يسعى في طريق الكمال وخدمة المجتمع الإسلامي ودعم مستقبل هذا البلد، فحينها يرى نورانيّة هذه الأعمال في قلبه، وتترتب آثار كثيرة على مثل هذه الأعمال، أحدها، حفظ روحية الصمود أمام الأعداء وجهادهم، وهذا هو الشيء الذي نحن بحاجة إليه اليوم كثيراً، وهذا أمر مهم جداً أيّها الأعزّة. [3]

الدورة المعنوية في حياة الإنسان «فرص لا تعوض»

إنّ هذه الأشهر الثلاثة: رجب و شعبان ورمضان. أيام نفيسة وعلينا اغتنام الخيرات الإلهية فيها، وكما يعبر العسكريون يجب أن نستكمل ذخيرتنا المعنوية، فإذا ما هبط الاحتياط المعنوي في كيان الإنسان إلى ما هو أدنى من المستوى المطلوب فستقاذفه المزالق والانحرافات الفادحة. [4]

على الإنسان أن يقوم بعملية تطهير خلال شهري رجب وشعبان؛ كي يسعه الجلوس على المائدة الإلهية في شهر رمضان، والتنعّم بها والاستزادة منها، وإذا ما انتهلنا من شهر رمضان إذ ذاك ستغدو أعمالنا وأخلاقنا ونظرتنا وأفكارنا دليلاً على أننا قد حققنا تقدّماً ملحوظاً؛ ونكون نحن بأنفسنا محكّاً لها، ونميّز التقدّم الذي حققناه؛ لكننا نتقاعس عن القيام بعمليات الإمتحان هذه، فنلمس ما ينجم عنها من شقاء وبلاء في داخلنا وفي أجواء المجتمع.

فعلى الجميع. ولاسيّما عوائل الشهداء. اغتنام الفرصة في شهر رجب. [5]

شهر رجب و الاعتكاف فرصة للتوبة

إنّ شهر رجب هو شهر جلاء القلوب وتطهير الروح، شهر التوسّل والخشوع والذكر والتوبة وصقل النفس وجلّائها من المعاصي والذنوب والآثام.. وكل ما في شهر رجب من الأدعية والاعتكاف والصلاة فيه وسائل وسبل تساعدنا على جلاء قلوبنا وأنفسنا، وأن ننأى بها عن المآثم والمعاصي، وأن نعمل على تطهير أرواحنا.

وهذه فرصة كبيرة بالنسبة لنا، خصوصاً أولئك الذين يوفّقون إلى الاعتكاف في هذه الأيام، وسأخصّ المعتكفين ببعض الكلمات في نهاية هذه الخطبة إن شاء الله. [6]

شهر رمضان وليالي القدر فرصة للتوبة

"يا أعزائي، اغتنموا شهر رمضان المبارك للاستغفار، واطلبوا العفو من الله تعالى". [7]

"شهر رمضان موسم الاستغفار والدعاء والإنابة". [8]

اعتبرت رواياتنا شهر رمضان فرصة ثمينة يُمرّن فيها الإنسان نفسه على الإقلاع عن الذنوب، وقد دوّنت في هذا الباب بضع روايات؛ جاء في أولها عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لمحمد بن مسلم: «يا محمد إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ولحمك ودمك وجلدك وشعرك وبشرتك» [9]، فلا تكذب ولا تضرر لغيرك الشر، ولا تُوقع الناس في المهالك ولا تضلّ القلوب، ولا تتأمر على أخيك المسلم وعلى مجتمعك الإسلامي، ولا تحقد ولا تبخس الناس في البيع، وتمسّك بالأمانة، وما إلى ذلك.

الإنسان الذي يصوم شهر رمضان . من خلال كفّ نفسه عن الطعام والشراب والمشتبهات النفسية والجنسية . يجب عليه أيضاً أن يصوم بصره وسمعه وكل أعضائه وجوارحه، وأن يعتبر نفسه ماثلاً بين يدي ربّه، وهاجراً للذنوب والمعاصي.

وجاء في تنمة الرواية: «ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك».

وانطلاقاً من ضرورة تربية أنفسنا، يجب علينا اغتنام هذه الفرصة.

وجاء في رواية أخرى عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) إنّ صوم النفس غير صوم الجسم، ف: «صوم النفس إمساك الحواس الخمسة عن سائر المآثم، وخلو القلب من جميع أسباب الشر» [10]، أي أنّ نُظْهَر القلب من كلّ غلّ وغش لله ولعباده.

كما توجد روايات كثيرة أخرى في هذا المضمّار.

يجب علينا إذاً أيّها الأخوة والأخوات انتهاز هذه الفرصة؛ واغتنام فترة شهر رمضان للتقرّب إلى الله، والاقتراب من مرحلة الكمال، وتنقية نفوسنا من المفاسد والمعاصي.

إنّ فرصة الاستغفار التي تتاح في هذا الشهر فرصة ثمينة ينبغي أن لا يفرّط بها.

وشهر رمضان هذا سينطوي على وجه السرعة، وإذا بقينا على قيد الحياة حتى شهر رمضان القادم، فسيمرّ هو الآخر كالبرق، أو كمر السحاب، وستضيع منّا فرصة ثمينة.

فيجب إذاً استثمار كل يوم من أيامه وكل ساعة من ساعاته.

أوصيكم أيّها الأخوة والأخوات المصلّين، وخاصة الشباب منكم بالاستفادة من ربيع الرحمة الإلهية هذا، والدخول في ضيافة الله، والاستغفار من معاصي الجسم ومعاصي الروح ومعاصي الفكر ومعاصي القلب.

والمجتمع الذي ينال توبة الله وغفرانه، يصبح مجتمعاً نيراً يُنزل عليه الباري تعالى . ببركة ذلك النور . وافر خيراته، مثلما أنزل على هذا الشعب، وعلى هذا البلد خيراته وبركاته ولطفه على مدى الثماني عشرة أو التسع عشرة سنة التي مرّت على إنتصار الثورة، بفضل طهارة قلوبكم وطيب أرواحكم أنتم يا أبناء هذا الشعب.

إذاً يجب الدخول في ضيافة الله لأجل استنزال رحمته. [11]

"وكما سمعتم مرّات عديدة أنّ أحد الغايات المهمة من صيام شهر رمضان هي: أن تكون لدينا ملكة التقوى ﴿لعلكم تتقون﴾.

وأنا حينما أنظر إلى الأعمال التي سنّتها الشريعة المقدسة لشهر رمضان من صوم، وتلاوة كلام الله، وقراءة الأدعية والتوسل بذيل العناية الربّانية، واستغفاره تعالى، أشعر أنّ الاستغفار . بغض النظر عن الصيام الذي يعتبر أمراً واجباً في شهر رمضان . هو العنصر الأكثر أهمية من بين كل تلك الأعمال، إذ يجب علينا أن نطلب المغفرة منه تعالى على ما صدر منّا جهلاً أو قصوراً أو تقصيراً. [12]

فرص التوبة والاستغفار

أريد التذكير بمناسبة قرب ليالي القدر المباركة، وهي ليال عزيزة وكريمة، بأنّ الخطوة الأولى في الاستغفار .
يا أعزائي ويا إخواني وأخواتي . هي طلب المغفرة من الله والعودة إليه. [13]

"إنها منذ غروب الشمس ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [14]، وفي هذه الساعات تنزل الرحمة الإلهية على الكون بأجمعه، يا لها من ليلة ثمينة، وكم يستطيع ألف شهر في حياة الإنسان أن يستنزل له الخير والرحمة.

عدّوها ليلة القدر وتوجهوا فيها بالدعاء والتفكير في آيات الله وفي مصير الإنسان، وفي ما أمر به الله، وفي تفاهة هذه الحياة المادية، وأنّ كل ما نراه في هذا العالم إنما هو مقدمة لذلك العالم، الذي تعتبر لحظة الاحتضار مدخلاً إليه". [15]

"التوبة معناها: الأوبة إلى الله. فحيثما كان الإنسان وفي أية مرحلة من الكمال، وحتى إذا كان في درجة أمير المؤمنين (ع) يبقى أيضاً بحاجة إلى الاستغفار، فقد خاطب الله عزّ وجلّ رسوله بالقول: ﴿واستغفر لذنبك﴾ [16]، و ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾ [17].

أمر الله في القرآن الكريم رسوله مرّات عديدة بالاستغفار، مع أنّ الرسول معصوم؛ لا يذنب ولا يعصي أمر الله، ولكنه مع هذا يأمره بالاستغفار.

ولكن ممّ يستغفر الأولياء والأكابر؟ هذا بحد ذاته موضوع جدير أن يبحث على حدة.

استغفارهم من أشياء ليست كذنوبنا؛ لأن أمثال هذه الذنوب لا تصدر عنهم، فالمقام الرفيع والقرب الإلهي قد لا يليق به أحياناً ما هو مباح أو حتى ما هو مستحب بالنسبة لنا؛ لذلك فهو يستغفر من تلك الأمور استغفاراً جاداً، لا مجرد استغفار شكلي.

لاحظوا كيف يبدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) دعاء كميل . الذي تفيد الروايات بأنه صدر عنه إنشاءً . بعد أن يُقسم على الله باسمه وبقدرته وبعظمته وبصفات جلاله وجماله، ثم يقول: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم» وإلى آخر الدعاء.

وهكذا أيضاً في دعاء أبي حمزة الثمالي، والأدعية الأخرى.

إذا كان هذا شأن الناس الكبار، فما أحوالنا أنا وأنتم للاستغفار.

أيّاكم أيّها المؤمنون وأيّها الأعزاء، ويا أصحاب القلوب النقية الطاهرة أن تغتروا وتقولوا: إنّنا لم نذنب.

كلا، بل إنّنا غرقى في القصور وفي التقصير «وما قدر أعمالنا في جنب نعمك».

وما هو قدر عمل الخير الذي نتصوّر أننا قد فعلناه، وما هي أهميته وما نسبته إلى جانب نعم الله وفي مقابل حق الشكر لله، فنحن غير قادرين على أداء حق شكره، «لا الذي أحسن استغنى عن عونك»، وهل بإمكان الإنسان الاستغناء عن فضل الله ولطفه في آنٍ من آنائه؟ نحن على الدوام بحاجة للطف الله، ولطفه يأتيّنا على الدوام "خيرك إلينا نازل"، ونحن عاجزون عن شكره.

وهذا قصور أو تقصير يستدعي في كل الأحوال طلب المغفرة.

ليلة القدر فرصة سانحة للاستغفار وطلب العفو من الله تعالى؛ فهو طالما قد فتح المجال أمامي وأمامكم لنعود إليه ونطلب منه العفو والمغفرة، فلنعمل ونرجع إلى الله وإلا فسيأتي يوم يقول فيه عز وجل للمجرمين: {لا يؤذن لهم فيعتذرون}[18].

لأ يأذن لنا . لا سمح الله . يوم القيامة بالإعتذار، ولا يؤذن للمجرمين بالتفوّه بكلمة واحدة للاعتذار، فليس هناك مجال للاعتذار.

وما دام باب العفو مفتوحاً هنا، وما دام الاستغفار يرفع الإنسان درجة ويغسل الذنوب ويضفي على الإنسان نوراً فليستغفر وليعتذر إليه تعالى، وطالما كانت الفرصة سانحة لاسترحام وطلب الرأفة منه بنا، والعطف علينا؛ فعلينا بالمسارعة إلى مثل هذا العمل، {فأذكروني أذكركم}[19] أي في نفس اللحظة التي يتوجه فيها القلب إلى الله ويستحضر ذكره، يتفضل هو عليكم بلطفه ورحمته وبركته، ويمدّ لكم يده بالبدل والعطاء.

علينا أن نفعل ما يؤهلنا لأن نكون مذكورين عند الله تعالى ولا يأتي الخطاب الإلهي {إننا نسيناكم}[20].

هكذا يكون موقف يوم القيامة.

فلنغتتم هذه الفرصة التي حبانا الله إياها للتضرع والبكاء والتوسل إليه، وذرف دموع الطهارة والمحبة من قلوبنا الدافئة على مآقينا، وإلا فسيحل يوم يقول فيه الله تعالى شأنه للمجرمين: (لا تجأروا اليوم إنكم مّنّا لا تنصرون)[21]. هذه الفرصة هي فرصة الحياة، وهي اليوم متاحة أمامنا للعودة إلى الله.

ومن أفضل الفرص على مدار السنة هي جملة أيام، منها أيام شهر رمضان المبارك، وفي شهر رمضان ليلة القدر التي هي واحدة من ليال ثلاثة، كما جاء في الرواية التي نقلها المحدث القمي بأنهم سألوا الإمام عن الليلة التي يُرجى فيها ما يرجى، قال: إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قال: فإن لم أقو على كليهما؟ قال: ما أيسر ليلتين في ما تطلب.

كان البعض ينظر إلى شهر رمضان من أوله إلى آخره على أنه ليلة القدر، ويؤدّون فيه أعمال ليلة القدر؛ فلنعرف قدر هذا.

الشعب الذي يصابي الله هكذا، ويستجير به عن صدق وإخلاص، يجيره الله بصدق ولا يصيبه سوء ولا خزي ولا فساد ولا ذلة، ولا ينصاع لعدو، ولا يُبتلى بالخلافات الداخلية.

إن ما ينزل على الشعوب من المآسي إنما يأتيها من أيديها <فما كسبت أيديكم> [22] أي من الغفلة والذنوب والمفاسد التي يقتربونها بأيديهم، ومن يلوذ بالله يقترب خطوة من العصمة ويدنو نحو صيانة نفسه من المعاصي.

فعلينا أن نعتصم بالله ونستعين به ونعمل لأجله ونسير في سبيله، ونفوض نفوسنا إليه، ونُجلي قلوبنا بذكره.

وحينما تصفو القلوب وتُحرّر من حبّ الدنيا والتعلق بها والنوازع المادية ولا تكون القلوب رهينة لها، يصبح المجتمع حينذاك مجتمعاً نورانياً ونقيّاً وطاهراً، ومثل هذا المجتمع يعمل أفرادُه بجد ونشاط ويعمّرون دنياهم". [23]

استعدوا للحياة الآخرة:

"يا أعزائي، إننا في لحظة الاحتضار نرد عالماً آخر، وينبغي لنا إعداد أنفسنا لذلك اليوم.

فهذه الدنيا وما فيها من ثروات وما مَنَّ الله به علينا من طاقات، وكل ما أَرادَه الله لبني الإنسان من حكومة عادلة وحياة زاخرة بالرفاه، وما شابه ذلك، فهي لأجل أن يُعدَّ الإنسان ذاته للنشأة الآخرة، فاستعدوا لذلك اليوم واذكروا الله واستغفروه.

ومن الطبيعي أنَّ الإنسان الذي يتوجَّه إلى ربِّه بهذه الصورة، ويطهر قلبه، ويُعرض عن المعاصي، ويعقد العزم على فعل الخير هو إنسان عظيم، وقادر على مجابهة المعضلات في هذا العالم.

ومثال ذلك هو إمامنا الكبير، والمثال الآخر هم المؤمنون من أبناء هذا الشعب، من الشبان المخلصين، ومن الشهداء والمعوقين [24]، ومن الذين تحمَّلوا السجن في فترة الأسر، ومن الذين تحمَّلوا فراق أعزَّتْهم، ومن الذين تحمَّلوا مصاعب ساحات الحرب... كل واحد من هؤلاء مثال رفيع، وخليق بكل شعب لديه شخص واحد من هؤلاء الشهداء أن يكرمه ويمجِّده ويجعله مثلاً يُحتذى به". [25]

[2] الزمان والمكان: 17/رمضان المبارك/1426هـ.. طهران - المناسبة: خطبتي صلاة الجمعة - الحضور: جموع المصلين - الخطبة الأولى.

[3] الزمان والمكان: 15 ربيع الثاني 1416 هـ - ق/مشهد المقدسة - الحضور: المشاركون بالمؤتمر.

[4] المناسبة: ميلاد الإمام الحسين (ع) ويوم الحرس - الزمان والمكان: 3 شعبان 1423 هـ. طهران - الحضور: قادة الحرس وقوى الأمن الداخلي ولقيف من المعاقين.

[5] المناسبة: أسبوع الدفاع المقدس - الزمان والمكان: 8 رجب 1422 هـ. طهران - الحضور: أسر الشهداء والمعاقين والمضحّين من القوات المسلحة.

[6] الزمان: 13 / رجب / 1426 هـ. ق. طهران - المناسبة: الخطبة الأولى لصلاة الجمعة المتزامنة مع ولادة الإمام علي (عليه السلام) - الحضور: جموع المصلين.

[7] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ. ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[8] الزمان والمكان: 21 رمضان 1417 هـ / جامعة طهران - الحضور: جموع غفيرة من المصلين الخطبة الأولى.

[9] بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج93، ص291.

[10] عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي: ص305.

[11] المناسبة: الخطبة الأولى لصلاة الجمعة العبادية السياسية - الزمان والمكان: 3 رمضان 1418هـ .
ق/جامعة طهران - الحضور: جموع المصلّين

[12] المناسبة: خطبتا صلاة الجمعة العبادية والسياسية - الزمان والمكان: 17 رمضان 1418هـ ق .
جامعة طهران - الحضور: جموع المصلّين - الخطبة الأولى.

[13] المناسبة: خطبتا صلاة الجمعة العبادية والسياسية - الزمان والمكان: 17 رمضان 1418هـ ق .
جامعة طهران - الحضور: جموع المصلّين - الخطبة الأولى.

[14] سورة القدر، الآية:5.

[15] الزمان والمكان: 21 رمضان 1417 هـ / جامعة طهران - الحضور: جموع غفيرة من المصلّين
الخطبة الأولى.

[16] سورة غافر، الآية:55.

[17] سورة النصر، الآية:3.

[18] سورة المرسلات، الآية: 36.

[19] سورة البقرة، الآية: 152.

[20] سورة السجدة، الآية: 14.

[21] سورة المؤمنون، الآية: 65.

[22] سورة الشورى، الآية: 30.

[23] المناسبة: خطبتا صلاة الجمعة العبادية والسياسية - الزمان والمكان: 17 رمضان 1418 هـ ق .
جامعة طهران - الحضور: جموع المصلين - الخطبة الأولى.

[24] الجرحى و المعاقين من المجاهدين في الحرب التي شنها الإستكبار العالمي بمباشرة صدام على
الجمهورية الإسلامية، والتي استمرت 8 سنين.

[25] الزمان والمكان: 21 رمضان 1417 هـ / جامعة طهران - الحضور: جموع غفيرة من المصلين
الخطبة الأولى.

الدعاء بطلب التوبة والإستغفار:

«اطلبوا من الله تعالى أن يزيل الآثار المتبقية في القلوب والنفوس؛ نتيجة ارتكاب المعاصي والذنوب، وأسألوه أن يفتح أمامكم أبواب التوبة». [1]

«أدعو الله تعالى ببعض الدعوات: نسألك اللهم وندعوك باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم وبحرمة أسمائك وبحرمة أوليائك يا الله، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، ووفقنا للتوبة والإنابة والعودة إليك، واستغفارك بما لهذه الكلمة من معنى، اللهم وتفضل على هذا الشعب بمزيد من أنوار فيضك ولطفك في مختلف الشؤون والأبعاد، اللهم واغفر لنا وتجاوز عن تقصيرنا وقصورنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم واغفر لنا خطايانا وجهلنا وقلة معرفتنا، اللهم وبحرمة الأبرار والصالحين وبحرمة القلوب النيرة من أبناء هذا الشعب، ومن الحاضرين في جمعنا هذا أزل عن قلوبنا غبار الجهل وحجب الظلام، اللهم وفقنا لمعرفتك، وتفضل علينا بسلوك طريق الكمال الإنساني، ربنا تجاوز عن ذنوبنا، وضاعف خيرك ولطفك على هذا الشعب». [2]

«اللهم نقسم عليك بمحمد وآل محمد أن توفقنا للاستغفار والتوبة، وأن تُنور قلوبنا بأنوار التوبة، وأن تُنجي الأمة الإسلامية وشعوبها من شرّ الأعداء». [3]

[1] 1/شعبان/1427 هـ . طهران

[2] المناسبة: صلاة الجمعة - الخطبة الأولى - الزمان والمكان: 7 رمضان 1417 هـ . ق/ جامعة طهران - الحضور: جموع من المصلين.

[3] الزمان والمكان: 26/رمضان المبارك/1426هـ . طهران - المناسبة: استقبال مسؤولي النظام الإسلامي - الحضور: رؤساء القوى الثلاثة والمسؤولين.

حول التوبة والذنوب [1]

من ثمار الخوف التوبة:

من وصية النبي (صلى الله عليه وآله):

«أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم.

وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم.

إن المؤمن بين مخافتين:

أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه.

وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه» [2].

هناك نوعان من الخوف محيطان دائماً بالمؤمن:

أحدهما الخوف من الماضي فإنّه لا يعلم ماذا سيفعل الله بما مضى من أعماله السابقة. فما أكثر الأعمال التي قمنا بها وصارت في طيّ النسيان عندنا، ولكن الله أحصاها جميعاً، قال الله تعالى: (أحصاه الله ونسوه).

والآخر الخوف من المستقبل فإنّ المؤمن لا يعلم المصير والنهاية التي قدّرت له.

وفائدة هذين الخوفين هي التوبة من الماضي والتيقّظ والإنباه والإلتفات للمستقبل وهذا هو معنى التقوى أيضاً. [3]

من يفتش في ذنوب الناس!

. ومن حَكَمَ أبي عبد الله (عليه السلام):

«إذا رأيتم العبد يتفقّد الذنوب من الناس ناسياً لذنبيه فاعلموا أنه قد مُكِرَ به» [4].

إذا كان الشخص يتبع دائماً كشف عيوب الناس ويبحث ويفتّش عن ذنوبهم ومعاصيهم، ولكنه في نفس الوقت ينسى ذنوبه وأخطائه، فمثل هكذا شخص قد ابتلي بالفتنة والمكر ووقع في واد خطير.

وذلك لأن أعظم خطر على الإنسان هو أن يغفل عن ذنوبه ومعاصيه لأن هذا الأمر موجب لعدم إلتفاته وتوجهه لإصلاح نفسه. فمثل هكذا شخص مفتون ومخدوع.

الذنب على الذنب:

. عن جعفر بن محمد (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء يعني محادثتهن وممارسة الأحقق تقول ولا يرجع الى خير (أبداً)، ومجالسة الموتى.

فقل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله): وما الموتى؟ قال (صلى الله عليه وآله): كل غني مترف». [5]

هناك أربعة أمور تميم القلب أي يصبح الإنسان بارداً وفاتراً عن التوجه نحو الله تعالى وعن ذكره وعن اللذة الحاصلة منهما. وهي:

1 . الذنب على الذنب، فإن الإنسان ليس معصوماً عن الذنب ولكنه يتوب إلى الله تعالى عند ارتكابه الذنب ويستغفر الله ويندم ويعزم على عدم العودة إلى الذنب مجدداً، فإذا ارتكب الذنب مجدداً يكون ذنبه بعد التوبة. أما إذا لم يتب إلى الله تعالى من ذنبه وغفل عن ذلك وارتكب ذنباً آخر فيكون قد أذنب على الذنب. وهذا الأمر يميم القلب بسبب تراكم الظلمات عليه.

2 . كثرة المحادثة والمناقشة مع النساء. طبعاً ليس المراد من النساء هنا زوجته وبناته وأخواته وأمثاله بل المراد المرأة الأجنبية عليه، فإن محادثتها لا تخلو من الزلات والشهوات.

3 . المجادلة والمباحثة مع الأحمق. فإن بعض الأشخاص الجاهلين لا يحكم على أعمالهم وأقوالهم العقل والمنطق، فليس هناك فائدة من الكلام والمباحثة معهم لأنه لا يترتب عليه أي نتيجة صحيحة.

4 . مجالسة الموتى. وفسّر النبي(صلى الله عليه وآله) الموتى بالأغنياء الغارقين في الماديات والمفاسد الناشئة منها.

. من وصايا الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) لهشام:

«يا هشام، إنّ المسيح(عليه السلام) قال للحواريين: وإنّ صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس، يحقرها لكم ويصغرّها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم»[6].

يقول النبي عيسى(عليه السلام) في وعظه ونصيحته لخواص أصحابه المعروفين بالحواريين:

إنّ الذنوب الصغيرة والحقيرة جزء من مكائد وحيل إبليس، فهو الذي يجعلنا نعدّها صغيرة وحقيرة لأنّه يصغرّها ويحقرّها في أعيننا وأنّها ليست بذلك الشيء المهم. ولكن في النتيجة حينما نقدم عليها ونرتكبها شيئاً فشيئاً وبالتدريج سوف تتجمّع وتكثر وفي نهاية المطاف سوف تحيط بنا وتؤدّي بنا إلى الهلاك، لأنّ البلاء الذي سيحصل لنا هو نفسه الذي يقع فيه من غرق في دوامة الذنوب الكبيرة.

على أنّ بعض الذنوب الكبيرة كالغيبة ونتيجة تكرارها مراراً تصبح بنظر الإنسان صغيرة فيقدم عليها بجرأة ولا مبالاة. ومن هنا يجب علينا التوجه والإنلفت والمراقبة الشديدة.

. عن أبي جعفر (عليه السلام):

«من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: يا ليتني لا أؤاخذ إلاّ بهذا» [7].

واحدة من الذنوب التي لا يغفرها الله هي أن يرتكب الإنسان ذنباً ما ولكنه يستصغره ولا يراه ذاك الذنب المهم ويقول في نفسه يا ليت لا يؤاخذني الله يوم القيامة إلاّ بهذا الذنب فقط.

فإنّ هذا القول يعتبر استحقاقاً واستخفافاً بالذنب، ولذلك إذا لم يتب الإنسان من هذا الذنب فلن يغفر له.

وهذا النوع من الروايات الغرض منه هو أن يدقّق الإنسان أكثر في عيوب نفسه، ويخلع عن عينيه نظارة العجب بنفسه، ولا يرى أن ذنوبه صغيرة بينما ذنوب الآخرين كبيرة.

. عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

«أربعة أسرع شيء عقوبةً: رجلٌ أحسنتَ إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجلٌ لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجلٌ عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجلٌ يصل قرابته و يقطعونه».

[8]

إن الذنوب و المعاصي كلها مضافاً الى العقاب الأخروي عليها يترتب عليها آثار وعقوبات دنيوية أيضاً، ولكن هذه الصفات الأربع المذكورة في الرواية عقوبتها المترتبة عليها أسرع من سائر العقوبات. وهي:

1 . الشخص الذي تحسن إليه ولكنه بدلاً من أن يكافيك بالإحسان ورد الجميل، يبادلِكَ بالإساءة ويجب الإحسان إليه بالإساءة إليك.

2 . الشخص الذي لا تظلمه ولا تتعدى عليه ولا تتجاوز حقوقه، ولكنه يبادلِكَ بالظلم والتعدي والتجاوز.

3 . الشخص الذي إذا عاهدته على أمر وفيت له بعهدك ولكنّه يغدر بك ولا يفي بما عاهدته عليه بل ينقض العهد ويحنث به.

4 . الشخص الذي يصل أقربائه ولكنّهم يبادلونه بقطيعة.

وهذه الأمور الأربعة ترجع إلى أمر واحد عام وهو أن المعاملة الإجتماعية والعلاقات و الروابط بين الأشخاص تكون من أحد الطرفين مبنية على الإحسان والعدل والإنصاف بينما تكون من الطرف الآخر مبنية على الظلم والغدر ونقض العهد وعدم المروءة. ففي هكذا موارد سوف يرى الشخص الظالم والغادر و القاطع لرحمه عواقب أعماله عاجلاً و سريعاً.

. من وصية الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) لهشام:

«يا هشام، إنّ المسيح(عليه السلام) قال للحواريين: بحق أقول لكم، إنّ مَنْ ليس عليه دين من الناس أروح وأقلّ همّاً ممّن عليه الدين وإن أحسن القضاء، وكذلك من يعمل الخطيئة أروح همّاً ممّن عمل الخطيئة وإن أخلص التوبة وأناب»([9]).

يقول النبي عيسى (عليه السلام) في وعظه ونصيحته لخواص أصحابه المعروفين بالحواريين:

إنَّ الشخص الذي عليه دين للناس يعيش حالة الهمّ وعدم الراحة بخلاف الشخص الذي ليس للناس في عهده شيء فإنّه يعيش أفضل راحة من ذلك حتى وإن كان سوف يقضي دينه في موعده إلاّ أن نفس كونه مدينًا يدخل الهمّ على قلبه.

وهكذا حال الإنسان المخطئ المذنب فإنّ ذنبه يجعله مهموماً حتى وإن تاب وأناب إلى الله تعالى بخلاف الشخص الذي لم يذنب ولم يخطئ فإنه يعيش مرتاح البال.

وهذا القلق وتشويش الذهن والبال الناشئ من ارتكاب الذنب إنّما يحصل للإنسان فيما إذا تذكّر ذنوبه وأخطائه. ولذلك كان نسيان الذنوب والأخطاء أعظم آفة تجعل الإنسان غافلاً عن علاج نفسه وإصلاحها. ومن هنا فإنّ تذكّر الذنب والخطيئة والإقرار بهما لنفسه وليس للآخرين (لأن الإقرار بالذنب أمام الآخرين غير جائز) من الأمور التي أوصى بها الإسلام وأكد عليها.

- عن أبي الصباح الكناني قال:

«من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً: من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم التوبة، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة، ومن أعطي الصبر لم يحرم الأجر». ([10])

من أعطي أربعة أمور لم يحرم من أربعة أمور:

1 . الشخص الذي يوفّق للدعاء فإنه لن يحرم من إجابته . والشيء المهم هنا هو أن يدعو الإنسان فإذا لم يستجب دعاءه في مورد ما بسبب وجود الموانع من ذلك ولكن ما أكثر الموارد التي يحصل فيها على غرضه وغايته من خلال الدعاء .

2 . الشخص الذي يوفّق للاستغفار فإنه لن يحرم من التوبة .

والاستغفار معناه طلب المغفرة من الله تعالى ، والتوبة معناها الرجوع عن الخطأ والمعصية .

وهذان الأمران ليسا متلازمين ، ولكن الإنسان لا ينبغي له أن يحرم نفسه من الاستغفار ويضيّعه حتى وإن لم يكن يريد التوبة . وذلك لأنه بطلب المغفرة سوف تتوفر لديه الأرضية المناسبة للتوبة .

3 . الشخص الذي يوفّق لشكر النعم الإلهية التي أنعمها الله عليه ويعرف قدرها وقيمتها فيشكر الله عليها فإنه لن يحرم من زيادة النعم عليه .

4 . الشخص الذي يصبر على المعصية أو على الطاعات أو على المصائب فإنه لن يحرم من الأجر والثواب على ذلك .

. عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم :

من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله رب العالمين.

ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه». ([11])

هناك أربعة أمور إذا وجدت في شخص كان في نور الله الأعظم.

والمراد من نور الله هو نور الهداية الإلهية الذي يشرق و يشع على قلب المؤمن ويصلح له أموره الدنيوية و الأخروية معاً. وهذه الأربع هي:

1 . من يكون عصمة أمره أي الملجأ و الحصن الذي يتحصن به في أموره كلها والأساس المتين الذي يبنى عليه حياته كلها هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً(صلى الله عليه وآله)رسول الله.

2 . الذي إذا أصابته مصيبة سواء كانت على نفسه أم على من يرتبط به كالأولاد والأموال و نحوهما، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. طبعاً ليس المراد الذكر اللساني فقط بل المقصود الذكر القلبي و الروحي فيتوجه بقلبه وروحه إلى الله تعالى ثم يجري على لسانه هذا الذكر.

3 . الشخص الذي حصل على النعم الإلهية سواء كانت نعمة العلم أم الثروة والمال أم المقام والمنصب والسلطة أم نعمة الصحة والعافية والسلامة، يقول: الحمد لله رب العالمين. أي يشكر الله على نعمه ويعتقد أنها من الله تعالى وليس هو الذي اكتسبها وحصل عليها بعلمه وعمله كما صنع قارون حيث قال «أوتيته على علم عندي».

4 . الشخص الذي إذا ابتلي بالمعاصي وارتكب الذنوب يقول أستغفر الله وأتوب إليه.

أي أنه يلجأ إلى الله ويتعوذ به من العودة إلى الذنب مجدداً ويطلب منه المغفرة. وذلك لأن بعض الناس يغفلون عن ذلك، فإن الغفلة عن الإستغفار تجعل الذنوب متراكمة وكثيرة حتى تصير حجاباً على القلب فلا يهتدي أبداً. ولذلك يجب الإستغفار من المعصية بعد ارتكابها فوراً، لأن الإستغفار والتوبة يغسلان القلب من صدا المعصية.

من آثار الذنوب قساوة القلب وحجب الدعاء

. من مواظ أبي جعفر(عليه السلام):

«إنَّ لله عقوبات في القلوب والأبدان، ضنكٌ في المعيشة ووهنٌ في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب»[12].

أحياناً يعاقب الله تعالى عباده في الدنيا، وهذه العقوبة تارة تكون في الحياة المعيشية المادية للإنسان من قبيل ضيق وضنك العيش (ولكن يجب أن يعلم أن ضيق العيش ليس دائماً يكون عذاباً بل أحياناً يكون اختباراً أو ابتلاءً إلهياً وأحياناً تكون نتيجة لعدم الشكر والأعمال القبيحة من الإنسان).

وتارة أخرى تكون العقوبات في الجانب الروحي من قبيل الضعف والوهن وعدم التحمل في العبادات (أكثر الناس لا يلتفتون أصلاً لمثل هذه العقوبات).

فالإنسان أحياناً لا يكون لديه رغبة في الدعاء، أو لا يحصل عنده توجه وإقبال وحضور قلب في الصلاة، أو لا يوفق للقيام بالنوافل والتعبّد والمناجاة مع الله تعالى. وكل ذلك عقوبة وجزاء على الذنوب التي ارتكبتها. وكما ورد في الدعاء: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء»

فإنّ أحد الإحتمالات في معنى حبس الدعاء هو أن الإنسان نتيجة لقساوة قلبه لا يكون لديه الرغبة والميل نحو الدعاء وهذه أعظم عقوبة إلهية.

إماتة القلب

. عن جعفر بن محمد (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء يعني محادثتهن وممارسة الأحقق تقول ولا يرجع الى خير (أبدأ)، ومجالسة الموتى.

فقيل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله): وما الموتى؟ قال (صلى الله عليه وآله): كلُّ غنيٍّ مترفٍ». ([13])

هناك أربعة أمور تميت القلب أي يصبح الإنسان بارداً وفاتراً عن التوجه نحو الله تعالى وعن ذكره وعن اللذة الحاصلة منهما. وهي:

1 . الذنب على الذنب، فإن الإنسان ليس معصوماً عن الذنب ولكنه يتوب الى الله تعالى عند ارتكابه الذنب ويستغفرُ الله ويندم ويعزم على عدم العودة الى الذنب مجدداً، فإذا ارتكب الذنب مجدداً يكون ذنبه بعد التوبة. أما إذا لم يتب الى الله تعالى من ذنبه وغفل عن ذلك وارتكب ذنباً آخر فيكون قد أذنب على الذنب. وهذا الأمر يميت القلب بسبب تراكم الظلمات عليه.

. عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«قال النبي (صلى الله عليه وآله): يلزم الحق لأمتي في أربعة:

يحبون التائب، ويرحمون الضعيف، ويعينون المحسن، ويستغفرون للمذنب». ([14])

يقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): إن الأمة الإسلامية عليها واجبات ومسؤوليات تجاه الأشخاص المتصفين بإحدى هذه الصفات الأربع ويجب عليها القيام والعمل بها. وهي:

1 . المحبة للتائب. فكما أن الله تعالى يحب التوابين كذلك يجب على الأمة أن تحبهم.

قال الله تعالى (إن الله يحب التوابين). ولكن للأسف بعض الناس ينظرون الى سوابق الأشخاص والأخطاء التي ارتكبوها في السابق ولا يتوجهون الى توبتهم ولا يلتفتون إليها أصلاً ولا ينظرون الى المستقبل لهؤلاء.

2 . الرحمة للضعيف. فيجب الترحم على من هو تحت إمرتك ومسؤوليتك. على خلاف ما هو الرائج في دنيا اليوم حيث إنّ المتكبرين لا يرحمون المستضعفين بل يظلمونهم ويسحقونهم بأقدامهم، ومن هنا كان إظهار الشعوب لضعفها أمام المستكبرين موجباً لمحوهم ونهب ثرواتهم والقضاء على مجتمعاتهم .

3 . إعانة المحسن ومساعدته وتشجيعه على عمل الخير. فإنه إذا قدم شخص خدمة للمجتمع سواء كانت مالية أم ثقافية أم إجتماعية فلا ينبغي لنا أن نقول إنه عمل بوظيفته وأدى ما عليه ولا نهتم به ونقف على الحياد تجاهه، بل الواجب يقضي علينا بأن ننصره ونساعده ونعينه أيضاً.

4 . الإستغفار للمذنب، أي طلب المغفرة والرحمة للمذنب والدعاء له بأن تناله المغفرة الإلهية والرحمة الربانية. فإنّ استغفارنا ودعاءنا له بذلك يوجب نزول الرحمة والمغفرة عليه والعفو والتجاوز عن سيئات أعماله.

. ومن حَكَمَ أبي عبد الله(عليه السلام):

«من أنعم الله عليه نعمةً فعرفها بقلبه وعلم أنّ المنعم عليه الله فقد أدّى شكرها وإن لم يحرك لسانه، ومن علم أنّ المعاقب على الذنوب الله فقد استغفر وإن لم يحرك به لسانه، وقرأ: ﴿إِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ...﴾ [15].

يبتنى الشكر على قاعدتين أساسيتين:

إحدهما: أن يعلم الإنسان أن كل ما عنده من مال ومقام واستعداد وغيرها من النعم هي من الله تعالى. ولا يتوهم أنه حصل عليها من خلال سعيه وجهده وعمله.

والأخرى: أن يعرف هذه النعم الإلهية. فإنّ الإنسان لغفلته كثيراً ما يغفل عن التوجّه والإلتفات إلى النعم الإلهية التي يواجهها يومياً في حياته.

فمثلاً الطعام الذي يأكله يحتاج إلى مقدار كثير من الأسباب والمعدّات من قبيل الأسنان واللّسان والقدرة على الابتلاع وقوّة الجذب والدفع بحيث إذا فقد أحدها اختلت التغذية لديه.

وحيئنذ فإذا اعتقد الإنسان بقلبه بهاتين القاعدتين كان في الحقيقة والواقع شاكراً لله تعالى وإن لم يحرك لسانه بذلك. وكذلك الإنسان الذي يعتقد بأنّ الله تعالى سوف يعاقب الإنسان على ذنوبه ومعاصيه كان في الحقيقة مستغفراً حتى وإن لم يحرك لسانه بذلك.

نعم الشكر والإستغفار باللسان مطلوبان أيضاً لأجل رفع الغفلة عمّا ذكرناه، لأن أسباب الغفلة محيطاً بنا من جميع الجوانب.

[1] كتاب (كلمات مضيئة) من نفحات الإمام القائد السيد الخامني (دام ظله) من في بدايات دروسه لبحوث خارج الفقه على الطلاب الفضلاء في الحوزة العلمية.

[2] تحف العقول، صفحة: 27.

[3] كتاب "كلمات مضيئة" من نفحات الإمام القائد السيد الخامني (دام ظله) من في بدايات دروسه لبحوث خارج الفقه على الطلاب الفضلاء في الحوزة العلمية.

[4] تحف العقول، صفحة: 364.

[5] الخصال / باب الأربعة / ح 65.

[6] تحف العقول، صفحة: 392.

[7] الخصال، باب الواحد، ح: 83.

[8] الخصال / باب الأربعة / ح 71.

[9] تحف العقول، صفحة: 392.

[10] الخصال / باب الأربعة / ح 16.

[11] الخصال / باب الأربعة / ح 49 .

[12] تحف العقول، صفحة: 296.

[13] الخصال / باب الأربعة / ح 65.

[14] الخصال / باب الأربعة / ح 239.

[15] تحف العقول، صفحة: 369.

يجب على الإنسان أن يُحيي بداخله أسباب وعلل الرجاء، من قبيل اللطف والمغفرة الإلهية، والإستعدادات وسلامة وصفاء النفس والقوى والقدرات التي أعطاها الله تعالى له ليسير بها تجاه الكمال. والأهم من ذلك التوبة والندم على الأخطاء والذنوب السالفة والعمل لأجل تلافيها وجبرانها. [1]

إن الله تعالى فتح باب التوبة لعباده ليتسنى لهم طي مدارج الكمال، ولكي لا يكون الذنب سبباً في إنشادهم إلى الأرض. [2]

الاستغفار يمثل جزءاً من التوبة، والتوبة معناها العودة إلى الله، فأحد أركان التوبة الإستغفار. [3]

يجب على من يتوب ويستغفر أن لا يضر في قرارة نفسه أنه يستغفر الآن، وبعدها يعاود ارتكاب الذنب،
فهذه لا تسمى توبة. [4]

عاقبة المعاصي هي الضلال، ما لم يتلأ نور التوبة في قلب الإنسان. [5]

[1] كتاب (كلمات مضيئة) من نفحات الإمام القائد السيد الخامني (دام ظله) من في بدايات دروسه
لبحوث خارج الفقه على الطلاب الفضلاء في الحوزة العلمية.

[2] 7 رمضان 1417 هـ

[3] 7 رمضان 1417 هـ

[4] 7 رمضان 1417 هـ

[5] 3 رمضان 1415 هـ